وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة محمد خيضر – بسكرة – كلية الآداب واللغات قسم الآداب واللغة العربية



الصُّورَة فِي مُخسيلَة الأَعسمَى الصُّورة فِي مُخسيلَة الأَعسمَى بشَار بن بئرد - أنموذجاً -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية تخصص : أدب عربي قديم

إعداد الطالب : إشراف الأستاذة :

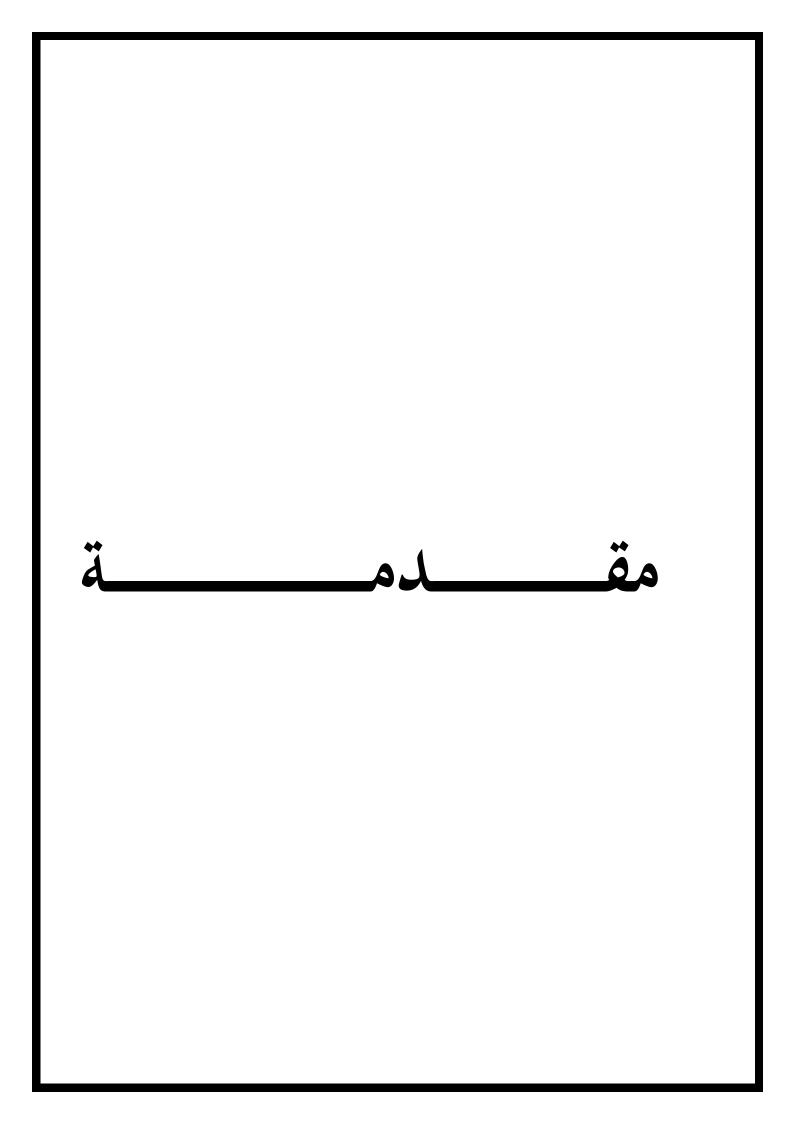
فتحي بوساحة غنية بوضياف

السنــــة الجــامـــعية : السنــــة الجــامـــعية : 1436/1435 هــ 2015/2014



الشكر لله الذي وفقنا وأعاننا والحمد لله الذي يسر لنا أمورنا سبحانه نعم المرشد والمُعين

إلى أستاذي المشرفة الأستاذة غينة بوضياف جزيل الشكر والامتينان على حسن التوجيه والنصح والثقة التي منحتني إيّاها وإلى كل من مدّ لي يد العون من أساتذة قسم الآداب واللغة العربية وأخص بالذكر الدكتورة نوال بن صالح التي كانت لي عونا في مشواري والشّكر موصول لعائلتي الكريمة وأصدقائي وكلّ من أعانني ولو بكلمة طيّبة



مقدمة:

البصرُ من أفضلِ الحواس التي يستعين بها الإنسان على تحصيل معلوماته ، ومن أَهدَى الوسائل التي يطلِّعُ من خلالها على مسارحِ الكونِ والحياة... ، كان لابد لفاقدها أن يتميّز عن المبصر في جوانبٍ عدة ، وإذا كان التعبير الشعري في أساسه قائماً على التصوير لا على التقرير ، والتصوير في غالبه قائما على البصريات ؛ وهو المجال الذي يفتقده بشَّار بن بُرد .

وهذا ما جعلنا نخوض غمار البحث في هذا الموضوع ، محاولين دراسة هاته الشخصية التي أثارت الجدل بين النقاد والدارسين القدامي والمحدثين ، وطريقة بناء صوره .

كان من المثير حقاً أن نتساءل على تأثير فقدان حاسة البصر على الصُّورة الشعرية التي تُعد من أهم المعايير التي يعوّل عليها النقد الحديث ، أو ماهي الروافد التي ساهمت في خلق صوره ؟ وعلى ماذا اعتمد في تشكيلها ؟ أو كيف شكل الصُّور الشعرية في مُخيّلته ؟ .

واعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج النفسي ، مستعينين بالمنهج التاريخي وهو المنهج المناسب لطبيعة الموضوع ، لأنّنا بصدد وصف و تحليل ودراسة شعر بشّار بن بُرد ، وكذلك تتبع تاريخ شعراء وُلدوا عُمى ، أو أصيبوا بالعَمى بعد مرحلة من عمرهم .

وقد اقتضت الدراسة أن تكون مشتملة على فصلين ، يسبقهما مدخل موجز يتضمن أبرز الشعراء العُميان في الأدب العربي ، والعمى وأثره في عملية الإبداع عند بشَّار بن بُرد .

وجاء الفصل الأول بالحديث عن روافد الصورة عند بشَّار وأهم الجذور النفسية المساهمة في خلقها . حيث تطرقنا في العنصر الأول إلى رافد البيئة ، الثقافة و الدين ومدى تأثيرهم في شعره ، وفي العنصر الثاني حاولنا إبراز العوامل النفسية ، كشعوره بالحرمان وسخطه وتبرّمه وشعوره بالأَنا .

أمّا الفصل الثاني : فقد تناولنا فيه الصّورة عند بشّار بن بُرد ، وتوزع على عنصريين درسنا في الأول الحواس التعويضية ، أمّا العنصر الثاني درسنا فيه الصور البصرية المتحيلة .

١

وقد اعتمدنا في إنجاز هذا البحث على أهم مصدر ألا وهو: ديوان بشَّار بن بُرد ، وبعض المراجع من أهمها: الأغاني للأصفهاني أبي الفرج ، وتاريخ الأدب العربي في العصر العباسي لشوقي ضيف ، وحديث الأربعاء لحسين طه ، والصُّورة في شعر بشَّار بن بُرد لصالح نافع عبد الفتاح .

بعد جُهد ، وضعنا ين أيديكم ما أمكن جمعه نظراً لإتساع المادة العلمية وكثرة المصادر والمراجع في دراسة حياة وشعر بشَّار بن بُرد ، وواجهتني بعض الصعوبات في التنقيب والبحث على الشعراء العُميان الذين يتحقق فيهم شرطنا .

وختاماً أتوجّه بالشكر الخالص إلى أستاذتي المحترمة غنية بوضياف على متابعة البحث بجدً وإخلاص ، وما أمدّتني به من توجيهات قيّمة ، نسأل الله أن يجزيها عني أحسن الجزاء وأن يديم عليها صحتها ويحفظها .

كما لايفوتني أن أخص أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة الموقرة بالشكر الجزيل والثناء عليهم ، لما بذلوه من جهد في مراجعة المذكرة وفحصها . المدخ

أولاً: أبرز الشُعراء العُميان في الأدب العربي.

ثانياً: العَمى وأثره في عملية الإبداع عند بشَّار بن بُرد.

مدخ_____مدخ

أولاً: أبرز الشعراء العُميان في الأدب العربي:

يُعد (بشّار بن بُرد) في عداد شعراء كثيرين أصيبوا بالعمى ، ومن الشعراء العميان في الجاهلية (مُعن بن أوس) ، ومن الشعراء العميان في الإسلام (حسّان بن ثابت ، وأبو العباس الأعمى السائب المكي ، وصالح بن عبد القدوس ، وأبو العيناء محمد بن قاسم ، والمؤمل ، وأبو العلاء المعري ، وابن العلاف الحسن النهروني ، والرّقِي أبو شبانة ربيعة بن ثابت ، وسعادة الحمصي واسمه سعيد ، وسليمان مسلم بن الوليد وهو ابن صريع الغواني ، وابن الموصلابا العلاء بن الحسن البغدادي ، وموفق الدين مظفر المصري ، وسبط التعاويذي محمد ، والعكوك علي بن جبلة ، وأبو الزهر نابت الهجاء ، ومحمد بن خلصة النحوي الشاعر ، وأبو بكر الأسعردي محمد بن عبد العزيز ، والصّرصري يحيى البغدادي ، وهمّام بن غانم السعدي البغدادي وكان مجدور الوجه مثل بشار ، وشافع بن علي العسقلاني ثم المصري) ومن الشعراء العميان المغاربة (الأعمى التُطيلي أحمد الأشبيلي ، وابن البقال عبد العزيز الخشني القيرواني ، ومحمد بن جابر الأندلسي ، وعلي بن عبد الغني الحُصْري القيرواني و ابن الخواص القيرواني) (1).

لما كان المكفوف بعد مرحلة من العمر لا يفترق عن المبصر كثيراً ، بعد إختزان في مخيلته عناصر بصرية فكان من اليسير بناءً على ذلك أن يتذكّر مواقف بصرية ، ويبدع صور بصرية مثل معرفته للألوان والأشكال والطبيعة بما فيها ، لهذا فقد اقتصرنا على ذكر أهم الشعراء العميان في الأدب العربي على من ؤلد أكمَه (2) ، أو كُفّ بصره صغيراً لايميز ، لهذا لم نجد ممن يتحقق فيهم

-

¹⁻²⁰⁰⁷، صنظر : ابن برد بشار : الديوان ، ج1 ، شر محمد الطاهر بن عاشور ، وزارة الثقافة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، (د ط) ، 2007 ، ص18-18 .

²⁻ أكمه: من ؤلد مكفوف البصر.

______*>*...______

شرطنا إلا ستة شعراء هم : بشّار بن بُرد ، ربيعة الرَّقي ، علي بن جبلة ، أبو العلاء المعري ، أبو الحسن الحُصْري و أبو العباس التُطيلي .

ت ع ري <u>ف</u> ه	الشاعر
هو بشَّار بن بُرد بن بَهْمَن وقيل ابن يرجوج ، وكان يُكني أبا مُعاذ وبالمرعَّث	
أيضاً ، وُلد بالبصرة سنة (96هـ) جاء أهله من طخارستان من بلاد ماوراء النهر"	
غربي نهر جيجون "كان أكمه مجدور الوجه حاحظ العينين دميم الخلقةقال	13.
الشعر صغيرا وراح يتكسب به مادحاً قادحاًوكان هجّاء مقذع الهجاء حتى خشيه	ا ا آ
الكثيرون وكان الخليفة (المهدي) من بين من هجا فأوغر عليه صدره	"] "J
وروى أن (بشًار) حقد على المهدي حقدا شديداً مما أدى إلى هجاءه ،	
وبعدها رمُي بالزندقة ، فأمر المهدي أن يضربه ضرب التلف ، فضرب سبعين سوطاً	
مات لها ، كان ذلك سنة (168هـ) . ⁽¹⁾	
هو ربيعة بن ثابت بن لجأ بن العيزار بن لجأ الأسدي الأنصاري الرقي ، نسبة إلى	
مدينة الرقة ، من شعراء صدر الدولة العباسية ، ولد ونشأ في الرقة من مدن الجزيرة	
الفراتية على نهر الفرات ، وقيل إنّه مولى من موالي سليم بن أسد ، وكنيته شبانة أو أبو	\sigma
أسامة .	
كان ضريراً إلا أنَ الله سبحانه وتعالى عوضَّه عن فقدان البصر بصيرة وفطنة ،	<u> </u>
فأخذ الشعر يجري على لسانه في ربعان صباه .	13
ويرجّح محقق ديوانه أنه لم يُولد أعمى ولم يبتل بالعمى صغيراً ، ولا دليل على هذا	هې
الترجيح لأنّ ما احتج به من ذكره للرؤية والزيارة كثير عند أمثاله من الأكفاء .	
وهكذا حتى توفي قبل نهاية عام 198هـ-813م . ⁽²⁾	

5

²⁻ ينظر :ذاكر العاني زكي :شعر ربيعة الرَّقي ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق-سوريا ،(د ط) ، 1980 ،ص11-15.

للي بن أبي جَبلة العُكُلُسوك

هو عَلي بن جَبلة بن مسلم بن عبد الرحمان الأنباري المعروف بالعَّكُوك وهذا لقب اطلقه عليه الأصمعي ، ومعناه القصير السمين مع صلابة .

وُلد أيام العباسيين سنة 160ه ، توفي سنه 213ه ، واختلف في طريقة موته فقيل إنّه مات ميتة طبيعية ، وقيل بل إنّ المأمون قتله قتلة شنيعة حيث أخرج لسانه من قفاه .

وهو عربي بالولاء ، وكان والده يؤثره بالشفقة والرأفة لأنّه أصغر إخوته ، وأنه كان مبتلي بعدد من العاهات ، فقد كان أبرص أسود مولى قصيرا دميما ، ويرجع محقق ديوانه أنّه وُلد أعمى . $^{(1)}$

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعَّري نسبة إلى معَّرة النعمان من بلاد الشام ، وكنيته أبو العلاء .

وُلد أبو العلاء في معرة النعمان يوم الجمعة عند غروب الشمس لثلاثة أيام مضت من شهر ربيع الأول سنة 367 هـ ، وقد جُدر في أول سنة 367 هـ فعُمي من الجدري ، وغشًى يمنى حدقيته بياض ، وأذهب اليسرى جملة ، روي أنّه كان دميم الخلقة ، مجدور الوجه ، على عينيه بياض من أثر الجدري ، كأنّه ينظر بإحدى عينيه قليلا .

ولقد توفي ليلة الجمعة ، ثالث ، وقيل ثاني من شهر ربيع الأول ، وقيل ثالث عشر ، سنة 449 هـ ، عن 86 سنة .

و الفسلاء المعشري

6

¹⁻ ينظر : الذهبي أحمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء ، ج9 ، مؤسسة الرسالة ، ييروت - لبنان ، (د ط) ، 2001 ، ص 193-194 .

²⁻ ينظر : المعري أبو العلاء : سقط الزند ، شرح أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1990 ، ص 03-12 .

أبو الخسن الخصسري

هو أبو الحسن على بن عبد الغني الخصري الفهري القيرواني الضرير ، وكان يفخر بقبيلته (فهر) في شعره ، وهو ابن خالة أبي إسحاق الحصري صاحب زهر الآداب ، والحصري نسبة على " عمل الحصر أو بيعها " . (1)

وقد كان مولده بمدينة القيروان في حي الفِهْريين ، ولم يجزم بتاريخ مولده ، وإنمّا يرجح أنه كان سنه 420 هـ .

وقد وُلد مكفوف البصر ، وهو عن لم يولد مكفوف فغنّه كف صغيراً ، لأنه يتبين من خلال طوابع شخصيته وخصائص شعره .

وافته المنية بطنجة من بلاد المغرب سنة 488 هـ ، أي أنّه عاش 68 سنة .

هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن هريرة أو ابن أبي هريرة التُطيلِي الإشبيلي من قبيلة قيس ، وله كنية أخرى هو أبو جعفر ، والتطيلي نسبة إلى تُطيلة مدينة بالأندلس وهو موطن أهله .

وؤلد في عهد المرابطين وقضى أكثر أيامه في إشبيلية المسماة حمص الأندلس، واتصل برجالها يمدحهم ويستجديهم.

وعرف بنزوعه إلى الخير ، وتأمله في الحياة ، وشعوره القوي بالحرمان والفاقة .

وكان نحيل الجسم هزيل البنية كفيف البصر . ولكن لم تحدد المصادر الموجودة عمره حين فقد بصره ، وإنما ما يستشف من أخباره أنّه عُمي في صغره ، كما أنّ خصائص الشعراء المكفوفين بارزة في شعره . (3)

أبو العباس التطيلع

¹⁻ ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، ج1 ، تح إحسان عباس ، دار صادر، بيروت- لبنان ، (د ط) ، 1972 ، ص 55 .

²⁻ ينظر : الذهبي أحمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء ، ص 27 .

³⁻ ينظر : المغربي ابن سعيد: المغرب في حُلى المغرب ، ج2 ، تحق شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ط4 ، 2009 ، ص 451 .

ثانياً : العَمى و أثره في عملية الإبداع عند (بشَّار بن بُرد) :

ليس العمى مما يقلل من قيمة الأعمى ، فهو عاهة مزمنة ولا شك أنّ هذه العاهة تعوق من قدرة الأعمى ، سواء أظهر ذلك أم أخفاه ، ولكنها لاتحط من مكانته . وقد عرف التاريخ العربي شخصيات اجتماعية وأدبية قد فقدوا بصرهم ، فمنهم من وُلد أعمى ومنهم من عُميّ في حيل متأخر من عمره ، وقد كانوا من من أشراف الناس وزعمائهم ومنهم : "(زهرة بن كلاب والعباس بن عبد المطلب ، والحكم بن أبي العاص وأبو سفيان بن حرب ومطعم بن عُدي وعبدالله بن أرقم والبراء بن عازب وأبو أسيد الساعدي وقتادة بن دعامة والترمذي الحافظ وابن سيده اللغوي وأبو العلاء المعري وبشار بن برد وأبو البقاء العكبري وأبو العيناء والسهيلي والشاطبي والصرصري ...) "(1).

وبما أنّ البصر هو من الضروري في إدراك الأشياء مباشرة ، وبما أنّ الأكمه الذي وُلد ولم ير شيئاً قط ، فإنه لا يمكنه أن يكوّن تصورات بصرية ، لذا نتساءل عن حال مثل هذا العماء وعن كيفية تعرف صاحبه إلى العالم المحيط به ومعالمه ، وحول قدرته على التمييز بين الأشياء ، ومنها ذكاء الأعمى المميز الذي شغل الباحثين . إذ يرى بعض الباحثين (2): أنّ الأعمى لا يقل ذكاءاً أو إبداعاً عن المبصر وأحياناً يتفوق عليهم في الذكاء والإبداع .

وقد يتلمس الإبداع في أسباب علمية قياسية ، فسرها (الصفدي) بإيجاز وذلك أنّ : " ذهن الأعمى أو فكره يجتمع عليه ولا يعود متشبعاً بما يراه ، ونحن نرى الإنسان إذا أراد أن يتذكر شيئاً نسيه أغمض عينيه وفكر ، فيقع على ما شرد من حافظته "(3).

(د ط) ، (د ت) ، ص 83 .

_

¹⁻ ينظر : الصفدي صلاح الدين خليل بن أبيك : الغيث المسجم في شرح لامية المعجم ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1975 ، ص 327 .

²⁻ ينظر : بركات أحمد لطفي : الفكر التربوي في رعاية الطفل الكفيف ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، (د ط) ، 1978 ، ص 273 .

³⁻ ينظر : الصفدي صلاح الدين خليل بن أبيك : نكت الهميان في نكت العميان ، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة - مصر ،

ويعتبر (مسكويه) الإبداع أمراً طبيعياً ، فيقول إنّ : " هذه أعين متى سُد مجرى ماء أحد أنهارها توفر على أحد الأنهار الأربعة الباقية أو انقسم فيها بالسواء ، أو على الأقل والأكثر منها ، وليس يغور ذلك القسط من ماء النهر المسدود ، ولايفيض ولا يضيع "(1) .

فشبّه النفس بعين الماء التي تجري مياهها من خمسة أنفر إذا سُد أحدها جرت الأنفر الأربعة الأحرى . وإذا كان هذا ظاهراً من فعل الطبيعة ، فكذلك حال الأعمى في أنّ احدى قوى نفسه التي كانت تنصرف إلى مراعاة حسّ من حواسّه لما قطعت عن مجراها توفرت النفس بما إمّا على جهة واحدة ، أو جهات موزعة ، فتبينت الزيادة وظهرت إمّا في الذهن والذكاء ، أو الفكر ، أو الحفظ ، أو غيرها من قوى النفس (2) .

والتحديد في الشعر ذو صلة وثيقة بالأصالة ، فالأصالة في الشعر تعني ابتداع الشاعر لصور غير مسبوقة تصبح أصلاً من أصول الفن الشعري لفترة تالية ، فكل عمل فني مظهر للكفاح المتصل في سبيل التعبير عن شيئ أصيل حديد والبعد عن المبتذل المطروق القديم . (3)

فبشار فنان أصيل لأنه ابتكر لونا من الغزل اشتهر به وأتى فيه بكثير من الصور الشعرية غير المسبوقة ، و (أبو العلاء المعري) فهو آخر الشعراء الفنانين الأصلاء في الشعر العباسي ويتمثل ذلك في لزومياته التي هي نسيج وحدها في فن الشعر . (4) فقد توفر في العصر العباسي عدد من الشعراء الذين عملوا على تغيير الهياكل الفنية واشتهروا بالقدرة على الإختراع والتوليد والإبداع ، ويذكر (ابن الأثير) أنّ الإختراع يكون للمعنى ، أمّا الإبداع يكون للفظ ، لأن الإختراع معناه خلق المعاني التي لم يسبق إليها والإتيان بما لم يكن منها قط ، أو إتيان الشاعر بالمعنى المستطرف الجديد الذي لم تجر العادة بمثله فقيل له بديع ، أمّا التوليد فهو استخراج معنى من معنى مسبوق مع الزيادة أو الإضافة فيه أمّا الإبتداع فهو الإتيان بشيئ لم يقله القدماء ، ومواكبة الأحداث التي تحدث في كل عصر والأمور التي تطرأ على حياة الشعوب . (5)

_

¹⁻ ينظر : التوحيدي أبو حيان ومسكويه أحمد بن محمد بن يعقوب : الهوامل والشوامل ، نشر أحمد أمين والسيد أحمد صقر ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة - مصر ، (د ط) ، 1951 ، ص 62 -63 .

²⁻ المرجع نفسه ، ص 63 .

³⁻ ينظر : مصاورة نادر : شعر العميان ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 2008 ، ص 350 .

⁴⁻ ينظر : مصيلحي صلاح عبد الله : التجديد والتقليد في الشعر العباسي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية - مصر ، (د ط) ، 1991 ، ص 51 .

⁵⁻ ينظر : العقاد عباس محمود : دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية ، مكتبة غريب ، القاهرة .- مصر ، (د ط) ، (د ت) ، ص38. 41 .

إنّ من الأسباب الرئيسية في نبوغ الشعراء العميان ، ومنهم الشاعر الأعمى (بشار بن بود) هو : " أنّ الشعور بالغربة ، بسبب العاهة دفعه – بشكل خاص – إلى السخرية والخروج عن المألوف ، فعد الشعر عنده عملاً أدبيا داخلياً نابعاً عن الذات وتعبيرا عن موقفه الفكري من الحياة ، لا عن الموروث من العادات ، أو الإستسلام للمنطقية العشرية والمضي في التقليد وأصبح الشعر في ذات الوقت ملاذا يجد فيه كل من تعزيته وخلاصه . وتحقيق وجوده وسبيلا على لمّ شتاته المبعثر نتيجة لشعوره بالغربة "(1) . وبالنسبة لهذه الفئة من الناس بعد : " طريق العلم والأدب طريقاً فعالاً ، وربما وحيدا للمكفوفين ، لأنّ فيه خروجا من ظلام الحياة التي يحيونها وظلم الأحياء إلى حيث الكرامة الموفورة مزود بماضي السلاح الذي لايقهر ، ولايفل" . (2) ونتيجة عاهته صار الشاعر الأعمى : " كثير الانتباه إلى لغته وعلاقاته اللفظية ، والإتيان ونتيجة عاهته صار الشاعر الأعمى : " كثير الانتباه إلى لغته وعلاقاته اللفظية ، والإتيان بالمقاربات والمجانسة "(3) .

ولعل العمى كان سببا رئيسيا ، أو قويا من أسباب الإبتداع في شعر (بشار بن برد) بعد مرحلة التقليد والمحاكاة ، مما أهله أن يكون على رأس المحدثين ، حيث نهج للشعراء من معاصريه نهجا توفيقيا يجمع بين القديم والجديد ، فعقدة العمى دفعته إلى أن يقول أرق مقطوعاته وأجمل قصائده التي نمته إلى مدرسة التجديد وشجعت كثير من النقاد على أن يجعلوه رأس المجددين وشيخهم ، فقد كان يجهد نفسه في التصور والمحاكاة لشعر سابق محاولا الاستعانة بفكرته لكي يأتي بصورة أفضل . (4)

وكان (بشار) ذو شاعرية خصبة تذهب بالشعر كل مذهب في التعبير عن خوالج النفس والتحاوب مع روح العصر ، في حس مرهف وقدرة على الملائمة بين اللفظ والمعنى وبين الصورة والموضوع ، كان (بشار) مجدداً ولم يكن من عبيد الشعر أو المتكلفين برسومه وتقاليده ، كان يقول الشعر كما يخطر له ويجري على لسانه ولم يكلف طبعه شيئاً متعذراً ، فأتيح له أن يكون رأس المجددين المحدثين أو أول أصحاب البديع أو الجديد ، فلم تغلبه روح البادية إنماكان يتعمد أن يبني شعره بناءً تقليدياً بإرادته واختياره ، ومشهورة عبارته عن احدى قصائده : (بنيتها عربية أعرابية ...) فهو فهو الذي يتخير الطريق الفني الذي يود أن يسلكه في قصائده ، وكانت عوامل التجديد نافذة

¹⁻ عشماوي محمد زكي: موقف الشعر من الفن والحياة ، دار النهضة العربية ، بيروت - لبنان ، (د ط) ، 1981 ، ص 129 .

²⁻ خليل شرف الدين : أبو العلاء مبصر بين العميان ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت – لبنان ، (د ط) ، 1979 ، ص 62 .

³⁻ ينظر: السقطى رسمية: أثر كف البصر على الصورة عند المعري، مطبعة أسعد، بغداد - العراق، (د ط)، 1968، ص 232.

⁴⁻ ينظر : الشكعة مصطفى : الشعر والشعراء في العصر العباسي ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ط3 ، 1975 ، ص 107 .

مدخ

متغلغلة في شعره ، فإذا رأينا ما يوحي بالتقليد في شعره فليس لأنه شاعر تقليدي ، وإنمّا يتعمد الإتيان بهذا التقليد في شعره ليرضي اللغويين أو الرواة أو ليردّ على من اتهموه بالضعف . أمّا أسلوب التحديد فيتضح في قصائده العباسية التي جنح إليها جنوحاً واضحا إلى الأوزان القصيرة والبحور المجزوءة ، وقدّم فيها الصور الحضارية الجديدة التي لم تكن تخطر على ذهن الشاعر القديم ، وهي صورة أفاد فيها من الأفكار والمعاني الجديدة فتميزت بالطرافة (1) . ولذلك فضّل (الأصمعي) (بشار بن برد) على غيره من الشعراء لأنه سلك طريقا لم يسلكه أحد فأحسن التصرف فيه وأغزر وكان أكثر بديعاً . (2)

والتحديد والإبداع لايعنيان ابتكار ألفاظ أو معانٍ حديدة ، أو لم تكن قد طرقه السابقون وإنما يستطيع الشاعر أن يتناول معانٍ كثيرة لغيره من الشعراء ، فيصوغه بصورة جديدة مرات عدة ، ويقدمه في صور شتى ، وعلى الرغم من مهمة البصر في ابتكار صور جديدة إلاّ أننا لا ننكر على الشعراء العميان بعض الصور التي استطاعوا خلقها وبلورتها في قالب جديد ، وحتى إنهم تفوقوا في ذلك على المبصرين . ويقول (صلاح الدين الصفدي) : " ما أنكر مشاهدة الحال في الخارج تعين على تصور المعاني ، إلاّ أنّ استنباط المعاني لا يفتقر فيه إلى المشاهدة "(3) . ولاسيما أنه لم يغن رصد مجموعة من التشبيهات والإستعارات في كتب البلاغة عن طموح الشاعر لإبداع جديد في مخال الصور ، والحقيقة أنه ليس طموحا بمقدار ماهو ضرورة يحتمها على الشاعر رغبته في التعبير عن مشاعره الأصلية تعبيرا صادقا . إنّ الشعر يظل مبهما في نفس الشاعر ، فلا يتضح له إلاّ بعد أن يتشكل في صورة . ولابد من أن يكون للشعراء قدرة فائقة على التصور تجعلهم قادرين على استكناه مشاعرهم واستجلائها . (4)

وقد كان أسلوب (بشار) الجديد يقوم على التمسك بالأصول التقليدية للشعر العربي من جهة ، ومن جهة ثانية يفسح للتجديد بحكم رقيه العقلي (5) ، وقد وصفه (الجاحظ) بأنه : " ليس

_

¹⁻ مصيلحي صلاح: التجديد والتقليد في الشعر العباسي ، ص 62 .

²⁻ المزرباني أبو عبد الله محمد بن عمران : المرشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، تحق محمد بجاوي ، دار النهضة مصر ، القاهرة - مصر ، (د ط) 1965 ، ص 291 .

³⁻ الصفدي صلاح الدين: نكت الهميان في نكت العميان، ص187.

⁴⁻ إسماعيل عزالدين: التفسير النفسي للأدب، دار المعارف، القاهرة - مصر، (د ط)، 1963، ص 72.

⁵⁻ حنيف شوقي : تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، القاهرة .- مصر ، ط6 ، 1977 ، ص207.

في الأرض مولد قروي بعد شعره في المحدثين إلا بشار أشعر منه (1). وقال (ابن رشيق) عنه " له الرياسة على المحدثين من غير خلاف ، وأنه زاد معانٍ ما مرت قط بخاطر جاهلي ، ولا مخضرم ولا إسلامي (2).

وفي نظر صاحب العمدة أنّ (بشار) : " أول من فتق البديع من المحدثين وكان له أتباع نهجوا نهجه ، وسلكوا طريقه من بينهم : ابن هرمة وكلثوم والعتابي ومنصور النميري ومسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو تمام والبحتري وابن المعتز " .

إننا في غير إسراف في الحكم أو غلو في التقدير نعتبر (بشار) في كثير شعره وبالتالي تلك القفزات التجديدية التي بدت واضحة عنده والتي ألح علها محبوه ومشايعوه والمتحمسون له من النقاد إنما هي ثمرة عماه لو صحّ هذا التعبير وكان للعمى ثمار ، إنه يجهد نفسه في التصور وأحياناً يجهد نفسه في المحاكاة لشعر سابق محاولا أن يستعين بفكرته راصدا أن يأتي بصورة أفضل منه (3). وهل هناك شعر كثير على هذا المستوى من الدقة التي تتضوع في قوله .

¹⁻ ينظر : الجاحظ أبو عثمان بن بحر : الحيوان ، ج4 ، تحق يحي الشامي ، دار الهلال للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، (د ط) ، 1977 ، ص

²⁻ ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط 5، 1981 ص 266 .

^{. 238} مصر ، ط1 ، 1929 ، ص $^{-3}$ و طبعة دار الكتب ، القاهرة – مصر ، ط1 ، 1929 ، ص $^{-3}$

الفصل الأول:

روافد الصُّورة عند بشَّار وأهم الجذور النفسية المساهمة في خلقها أولاً: روافد الصُّورة عند بشَّار بن بُرد:

- . البيئة .
- 2. الثقافة .
- . الدين

ثانياً: أهم الجذور النفسية المساهمة في خلق الصُّورة عنده:

- 1. الشعور بالحرمان.
 - 2. السخط والتبرم.
- 3. شعوره بالأنا (تضخُّم الأنا).

أولاً: روافد الصُّورة عند بشَّار بن بُرد:

الشعر وثيقة يُعبّر بها الشاعر عن حياته وبيئته بكل مافيها وبجميع ألوانها (1). لذا يعتبر الشعر العربي من أهم المصادر التي تدلنا على حياة العرب بدءً من جاهليتهم حتى عصرنا الحالي ، لأن الشاعر ابن بيئته يتأثر بها يتأثر به مجتمعه ، لذا سنتطرق إلى روافد الصورة عند الشعراء العرب من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي والذي عاش فيه الشاعر (بشار بن بُرد) متحدثين عن أثر البيئة ، الثقافة و الدين في خلق صورهم .

وإذا تحدثنا عن الشعر في العصر الجاهلي ، فهو انتاج وجداني مطبوع ، فقد استوحى الشاعر أبيات قصيدته من البيئة التي كان يعيش فيها ، وكانت البادية هي بيئة الشعر في العصر الجاهلي ، مع نبوغ عدد من أهل المدن بالقصيد ، غير أنّ فحول الشعر من أهل الوبر الذين كانوا يسكنون الخيام في بواديهم وصحاريهم وعلى هذا الأساس ، نرى خصائص الشعر تدور حول البادية وما فيها من طلل وناقة وفرس وصيد ووصف لرحلاتهم وما يركبونه ومن المعروف أنّ الحياة البدوية حياة فطرية ، تسودها البساطة فلا تكلف ولا تخريج ولا تعليل ، والشاعر في العصر الجاهلي لا يعوزه ذلك ولا يحتاج إلى التكلف (2) ، وهذا ما نراه عند كثير من شعراء هذا العصر .

لكن بمحيئ الإسلام فقد تغيرت موازين الحياة من كل نواحيها ممّا أحدث ثورة ونحضة وتحولاً في حياة العرب شملت مناحي الحياة . تمثلت في تغيرات تناولت حياة الإنسان النفسية والفكرية ، وطرق التفكير والتعبير . بالإضافة إلى أبعاد رسالة الإسلام الخالدة في السلوكيات الخلقية والسياسية والإجتماعية والمعيشية (3) .

أمّا في العصر الأموي فكان العربي يعيش حياة معقدة عقّدتما الحضارات الفارسيّة والإغريقية الرومانية التي غزا أهلها واستعمرهم سياسيا ، وغزوه واستعمروه حضاريا وثقافيا . وأخذ يفكر في

¹⁻ الطريفي يوسف عطا : شعراء العرب (العصر الجاهلي) ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن - عمان ، ط1 ، 2007 ، ص 16 .

²⁻ المرجع نفسه ، ص 16 .

³⁻ ينظر : السيوفي مصطفى : تاريخ الأدب في صدر الإسلام ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ، القاهرة - مصر ، ط1 ، 2008 ، ص

الأشياء ويطيل التفكير ، بل أخذ يحترف التفكير احترافاً في كل شؤون حياته فلقد اختلفت هاته الحياة في ينابيعها ، ويقع تحت عدة مؤثرات لم يكن يعرفها من قبل (1) . وأكبر الظن أنّ بيئة الشعر في العصر الأموي تحضرت ، وأترف ذوقها ، وأصبح أهلها يمثلون رقة في الشعور ورقة في الشعور الحس ، لسبب طبيعي هو أنهم أبناء حضارة جديدة وعصر جديد ، فيه ترف ونعيم ، وفيه تأثيرات حضارية التي ترهف الحس ، وترقق الشعور ، بل تجعل لبعض الناس حسّا وشعورا خالصين (2).

ولكن مع أواخر هذا العصر ومطلع العصر العباسي ، ظهرت حركة فكرية أدبية نشطة ، لقيت تشجيعا عظيما من الخلفاء والأمراء والقادة ، ولقيت إقبالا عظيما من الناس ، وساعد على نشاط هذه الحركة اختلاط الأجناس وتمازج الثقافات وحركة الترجمة والتنافس العلمي والصراع الفكري ، ثم ذلك الاستقرار الذي بدأت تشعر به الشعوب بعد انتهاء الفتوحات الإسلامية وتدفق خيرات البلاد الأخرى على مقر الخلافة (3) .

وقُدر (لبشار) أن يشهد هذه الفترة وأن يعيش حركة الإنتقال الضخمة التي نجمت عن تغير الحكم بكل ما فيها من فكر وأدب ومناظرات ، وبكل ما فيها من اضطراب وفتن ودسائس . وقُدر له أيضا أن يساهم في هذا كله ، وأن يشارك غيره من الشعراء والأدباء في جوانب الحياة المختلفة بما فيها من حدّ ولهو ، وأن يخدم بفنه الشعر العربي خدمة جليلة فينقله نقلة كبيرة تتفق وانتقال الحكم وتغير المفاهيم ، وتعبّر عن الوضع الجديد الذي انتهت إليه الأمة دون ان تحمل مقاييس القدماء ونظراتهم التقليدية لمفهوم الشعر (4) . ومن هذا المنطلق نبحث عن أهم روافد

^{1 -} ينظر : ضيف شوقي : التطور والتجديد في الشعر الأموي ، منشورات جامعة البحث ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، القاهرة - مصر ، (د-ط) ، 1995 ، ص 07 .

²⁻ ينظر : المرجع نفسه ، ص 106 .

³⁻ ينظر : صالح نافع عبد الفتاح : الصورة في شعر بشار بن برد ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، (د ط) ، 1983 ، ص 16. 4- ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

الصورة عنده وكيف أثرت في تشكيل صوره . وللإجابة عن هاته التساؤلات سنتطرق إلى أثر البيئة ، الثقافة و الدين .

1. البيئة : قلنا إنّ الشاعر ابن بيئته ، وشاعرنا (بشار بن رد) كغيره من الشعراء في هذا التأثر ، ففي شعره نجد أنّه لم يقطع صلته بالجذور فكان في كثير من الموضوعات بدوياً ، مثقل العبارة بالألفاظ التقليدية لأنه أخذ العلم من أفواه شيوخ بني عقيل⁽¹⁾ ،حيث نراه يذكر ولاءه في كثير من شعره ، إذ يقول :

إِنَّنِي مِنْ بَنِي عَقيلْ بِن كَعبْ * مَوضِع السَّيفِ مِنْ طَلَى الأَعْناقِ . (2)

لهذا رأى فيه بنو عقيل ابنا لهم يستعينون به في مواقف النزاع فيذود عنهم بلسانه ومنطقه على عادة الشعراء الجاهليين في الدفاع عن قبائلهم ${}^{(3)}$ ، وكتيرا ما نجده يفخر بولائه إلى قيس عدلان وبانتمائه إلى بني عامر ، وليس هذا تلونا في ولاءه لأن عقيل بن كعب هم من بني عامر بن صعصعة ، وبنو عامر هم من بني قيس عيلان ${}^{(4)}$.

وفي قوله أيضا حيث تبدو عليه روح البداوة :

أُسَائِلُ أَيْنَ سَارَ بَنُو يَـزِيدٍ * وَعِنْدِي مِنهُم الخَبَرُ المِصَـحُّ .

أَأْجُرُ هَلْ تَرَى بِالنَّقْبِ عَيراً * تميلُ كَأَنَّهَا سَلَمٌ وَطَلْحُ .

خَرَجْنَ عَلَى النَّقَا مُتَواتِرَاتٍ * نَواعِبَ فِي السَّرَابِ لَمُنَّ شَبْحُ . (5)

إلا أنّه في الغزل وفنون الجون كان حضرياً جزل العبارة رقيق الحاشية... شاع شعره على السنة أهل البصرة وتغنى به المغنون ، واتصل به الكثير منهم به ليكتب لهم كلاماً يتغنون به. (6)

^{. 149} منظر : الأصفهاني أبي الفرج : الأغاني ، ج3 ، ص49 .

^{. 118} بن برد بشار : الديوان ، ج4 ، ص-2

²¹⁰ الأصفهاني أبي الفرج: الأغاني ، ج3 ، ص3

⁴⁻ ينظر : كحالة عمر رضا : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان ، ط3 ، 1968 ، ص 801 .

 $^{^{-5}}$ ابن برد بشار : الديوان ، ج 2 ، ص

⁶⁻ الروضان عبد عون : موسوعة شعراء العصر العباسي الأول ، ج3 ، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 2013 ، ص80 .

كما قطن الحاضرة فتأثر بهذا وذاك $^{(1)}$ ، لأنه انتقل إلى البصرة حيث تركت أثرا كبيرا في شعره ، واطلاعه على ثقافة عصره من خلال قوة بديهته حيث يكاد ينعدم نظيره في قوة الذكاء $^{(2)}$ ، حيث نراه يقول :

عَمِيتُ جَنِيناً والذَكَاءُ مِنَ العَمَى * فَجِئتُ عَجِيبَ الظَّنِّ للعِلمِ مَمْقِلاً . (3) ومن قوله الذي يبدو عليه أثر التحضر:

كَأَنَّ إِبْرِيقَنا وَالقَطرُ فِي فَمِهِ * طَيرُ تنَاولَ يَاقُوتاً بَمَنقَارِ . (4) ويقول وتبدو خفة أهل المدن والترف على ألفاظه ومعانيه:

لما طَلَعْن من الرّقي * قِ عليَّ بالبردانِ خمْ سَا .

وكَأَنِّهِ لَنْ اللهِ اللهُ عَنَ اللهِ اللهِ رَفَقُن شَمْسَا .

باكْرْنَ عِطْرَ لَطِيمَةِ * وغَمَسْنَ فِي الجَادِيِّ غَمْسَا.

لما طَلَعنَ حَفَفْنَهَا * وأَصَحْنَ ما يَهْمِسْنَ هُمْسَا. (5)

ومن أوجه التأثر بالبيئة في شعر (بشار) أن تعرف كيف كثرت الجواري في بيئتهم ، ثم تتصفح ديوانه فتلاحظ أسماء هذه الجواري المتغزل بمن مثل (عبدة وربابة) حيث اشتهر بالغزل في كثير من شعره ، وخاصة الغزل الماجن توافقا مع الطبيعة العباسية التي حفلت بالغناء والطرب ، وانتشر فيها المغنون والمغنيات (6)، فهنا نجد أنّه لا يمثل عاطفة ولا شعوراً صادقا ، وإنّما يمثل أمرين

¹⁻ الدوخان محمد بن أحمد : الصورة عند الشعراء العميان في العصر العباسي ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، 1988 ، ص 71 .

²⁻ ضيف شوقي : تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، ط16 ، 2004 ، ص 201 .

⁻³ ابن برد بشار : الديوان ، ج4 ، ص-3

^{4 -} المصدر نفسه ، ج4 ، ص61 .

⁵⁻ المصدر نفسه ، ج4 ، ص 82-83 .

⁶⁻ ينظر : الدوخان محمد بن أحمد : الصورة عند الشعراء العميان في العصر العباسي ، ص 71 .

اثنين : يمثل تحالكاً على اللذة ، وإفحاشا في هذا التهالك وافتنانا فيه أيضا ، دون أن يراقب الشاعر في ذلك خلقا أو أدبا أو دينا .(1)

وهنا تأتي وظيفة الشاعر بإبداع الكلمات الشعرية المناسبة والمقصودة لذلك أحياناً ، ولبشار قصائده قصائد ومقطوعات صالحة للغناء ونجد (أبي الفرج الأصفهاني) في أغانيه يختار بعض قصائده ومقطوعاته (2) ، فمما اختاره لبشار قوله :

هوَى صَاحِبِي رِيحُ الشمالَ إِذَا جَرتُ * وَأَهْوَى لِقَلبِي أَنْ تَمُبَّ جَنوبُ . (3)
وكما قلنا أنّ (بشار) كان يسف في غرضين من أغراضه الشعرية ، الغزل والهجاء ، ولا
يسف في غيرهما ، وقد نهاه (المهدي) عن قول الغزل وقالوا إنّه وفد عليه فاشترط الحاجب عليه
ألا ينشد الخليفة شعراً فيه غزل (4) ، لكن بشار لم يلبث أن أنشد قائلاً :

قَدْ لاَمَنِي فِي خَلِيلَتِي عُمَرُ * واللَّومُ فِي غَيرٍ كُنْهِهِ قَدَرُ .

قَالَ : أَفِقْ ، قُلتُ لا ، فَقالَ بَلَى * قَدْ شَاعَ فِي النَّاسِ عَنْكُم الخَبرُ .

فَقُلتُ : إِنْ شَاعَ مااعْتـذَارِيَ مُمَّا * ليْسَ فِيـهِ عِنْـدَهُم عُــذُرُ . (5)

وما نستنتجه في الأخير أنّ (بشار بن برد) تأثر تأثراً كبيراً بالبيئة العباسية حيث نجده في كثير من شعره يتماشى مع ما ساد في ذلك العصر .

2. الثقافة: شهد (بشار بن برد) فترة مهمة من حياة الدولة العربية الإسلامية ، بل لعلها أعظم فترة حضارية مرت في تاريخ الدولة العربية ، فقد عاصر دولة بني أمية مدة تزيد على ثلاثين عاما (96 هـ-132هـ) ، وشهد نقلة الخلافة من الدولة الأموية إلى الدولة العباسية

-

¹⁻ ينظر : حسين طه : حديث الأربعاء ، ج2 ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، ، كورنيش النيل - مصر ، ط5 ، (د ت) ، ص 204 .

^{. 177} منظر : الأصفهاني أبي الفرج : الأغاني ، ج3 ، ص -2

[.] 206: ص 3 ، ص 306 . ص 306

^{4 -} ينظر : الروضان عبد عون : موسوعة شعراء العصر العباسي الأول ، ص 80 .

^{5-.}ابن برد بشار : الديوان ، ج3 ، ص 169 - 170 .

وعاش فترة من العصر الذهبي للعباسيين (132ه-168ه) (1). ، وقد أحدثت هاته الفترة تطورا خطيرا في الثقافة العربية وفي الفكر العربي ، فقد استقر الأمر للعباسيين وانتهت الفتوحات ، فلم يعد هناك مايشغل الدولة وأبناءها . وبدأ امتزاج الأمة العربية مع غيرها من الدول المغلوبة ، وتغيرت نظرة الدولة إلى الموالي وإلى غيرهم من الرعايا ، الذين انطووا تحت لوائها ، فأقبل هؤلاء على اللغة العربية والثقافة العربية يدرسونها وينقلون إليها ثقافاتهم ، فحفل العصر بشتى التيارات الفكرية والعلمية والأدبية وأصبح الأدب نتاج أمم انصهرت في بوتقة واحدة . وكان الفرس الساعد الأيمن للعباسيين في ثورتهم ، فحفظ العباسيون لهم الجميل وسلموهم كثير من مقاليد الحكم ، فأثروا في الحياة العربية وأورثوا العرب الكثير من ضروب المدنيات . (2)

وترك الفرس أثرهم في الأدب العربي ، فأشاعو فيه اللهو والمجون وحديث الخمرة ، وأثروا بنزعاتهم على أدب الزهد . ونشطت الترجمة في هذا العصر نشاطا كبيرا ، فترجمت كتب الطب والفلسفة والفلك من اليونانية إلى العربية ، وبهذا شاركت الثقافة اليونانية بدورها ، واكتسب الفكر العربي من الفلسفة اليونانية والمنطق قدرة على التحليل والاستنباط والإستدلال ، ومقدرة على الجدل والمحاورة ، وساعد هذا على تفتح أذهان المفكرين العرب إلى ضروب جديدة من التفكير ، وأكسبهم القدرة على التعمق والبحث (3) . وهكذا لم تعد الثقافة في هذا العصر عربية خالصة ، وإنما هي ثقافة شاملة .

ومما سبق ذكره نرى أنّ (بشار بن برد) نشأ في البادية ، حيث شكَّلت المصدر الأساسي في مصادر ثقافته ، فقد نشأ في حجور بني عقيل ، فاكتسب منهم ملكة اللغة ، وأدرك العرب الباقين من بني عامر بن صعصعة وتلقى اللغة بسمعه ، وأصبح شاعرا ليس لديه مايستنكر من

¹⁻ ينظر : صالح نافع عبد الفتاح : الصورة في شعر بشار بن برد ، ص 34 .

²⁻ ينظر :خفاجي محمد عبد المنعم : الحياة الأدبية في العصر العباسي ، دار العهد الجديد للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، ط1 ، (د-ت) ، ص05 .

³⁻ ينظر: المرجع نفسه ، ص 29 .

الألفاظ⁽¹⁾. وكان بعض علماء المعاجم (كالجوهري) في الصحاح و (الزمخشري) في أساس البلاغة يستشهدون بأقواله على استعمالات لغوية ،كاستعمال (البزلاء)* ، فهو يقول: البلاغة يستشهدون بأنِّني إذَا شَغَلَتْ قَوْماً فِقَاحُهُمُ * رَحْبُ المِسَالكِ نَهَّاضٌ بِبِزُلاَءِ . (2)

ثم لم يلبث أن حرج على البادية عندما بلغ سن الشباب يستقي اللغة من ينابيعها ، على عادة أبناء العرب الذين كانوا يُبعثون على البادية ليخالطوا العرب البعيدين عن الإختلاط بالأجناس الأخرى والذين لم تشب لغتهم شائبة من لكنة ولحن ، فأخذ العلم من أفواه شيوخ بني عقيل الضالعين في اللغة (3) ، وتركت البادية في نفسه أثرها في شعره وصوره ، فقد أحس بما يحس به البدو الخلص ، وعرف البدو في معيشتهم وحياقم ، عرفهم في وقت السلم ووقت الحرب ، وعرفهم في تنقلهم واستقرارهم ، واطلع على عاداقم وأخلاقهم ، وترك هذا في نفسه أثرا عظيما يقول جامع ديوانه : " يُنبئك شعر بشار فضلاً عن بلاغته وفصاحته بأنه تمكن في العلم بأحوال العرب وعاداتهم وأيامهم وأخلاقهم وأحوالهم ، حتى إنه لينظم القصائد فلا يخل بشيء مما يودعه فحول العرب في أشعارهم ، ومن دلالة سعة علمه بالعربية أن نجد في شعره ألفاظا كثيرة وتصريفات خلتْ عن ذكرها كتب اللغة "(4).

وإذا كانت البداوة قد صقلت موهبته وأعطت صوره لوناً خاصاً فيه خشونة وفيه صلابة وفيه سهولة لا تعرف التعقيد ولا المواربة ، فإنَّ الحضارة التي انتقل إليها في البصرة تركت أيضا أثراً بعيداً في شعره ، فقد رققت حسّه وفتحت له أبوابا من المعاني والصور بكل ما في الحضارة من ترف مادي وشعور رقيق حاد (5) ، واطلع على مختلف ألوان الثقافة في عصره بما فيها من روافد جاهلية

¹⁻ ينظر: الأصفهاني أبي الفرج: الأغاني ، ، ج3 ، ص 149.

²⁻ ابن برد بشار : الديوان ، ج1 ، ص 148 .

^{* -} تعنى الخطة العظيمة .

³⁻ ينظر: صالح نافع عبد الفتاح: الصورة في شعر بشار بن برد، ص 37.

⁴⁷ ابن برد بشار : الديوان ، ج1 ، مقدمة الشارح ، ص47 .

⁵⁻ ينظر : ضيف شوقي : تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول ، ص 217.

أو إسلامية أو أجنبية ، كما اطلع على الشعر السياسي الذي كانت تردده الأحزاب واطلع على نقائض جرير والفرزدق(1). ومن الملاحظ أنَّ العصر العباسي شهد حركة ثقافية كبيرة قائمة على ترجمة الكتب من اللغات الأجنبية ، واطلع (بشار) على ما ترجم من آداب الفرس وغيرهم ، وعلى آراء المذاهب الفارسية القديمة (2) ، وإذا كان (شوقى ضيف) يرى أنّ : " اطلاعه على المذاهب المختلفة أحدث هزة في نفسه وملأها بالشك والحيرة " (3) ، فإن اطلاعه لم يحدث شكا وحيرة وبلبلة في الفكر بقدر ما أوجد عنده عمقاً في التفكير وبعداً في الإدراك وملكة على التذوق والتحليل . ولعل اختلاطه بالمعتزلة ومصاحبته لهم ، في فترة من فترات حياته ، يشكل مصدرا من أهم مصادر ثقافته . فقد خالط علماء الكلام في البصرة (4) وكان واحد من ستة منهم ، فعرف الملل والنحل المختلفة ، واطلع على المذاهب ، وكوّن فكرة كان لها الأثر الكبير في حياته وبالتالي في شعره . وأهّله الإتصال بالمعتزلة أن يطّلع على رأي الزنادقة الذين وقف لهم المعتزلة بالمرصاد ، وهيأ له هذا الإتصال الطريقة العملية لتفهّم تلك الآراء ومناقشتها ومصادقة مؤيديها أحيانا ومعاداتهم أحيانا أخرى . وقد تركت علاقته بالمعتزلة آثارها في شعره ، ويبدو ذلك الطابع ، في كثرة الجدل والجدال وحشد البراهين والبعد عن التأويل ، واستخراج المعاني الخفية الدقيقة والمحاورة ، وفي مغالطاته وكثرة تعليلاته ⁽⁵⁾ ، وروح الجدل والمقايسة تظهر في شعره لمن يتأملها ، فهو فهو يقول:

ومَا كُلُّ ذِي رَأْيٍ بمؤتيكَ نُصْحَهُ * ولاَ كُلُّ مُؤتٍ نُصْحَهُ بلَبِيبِ . ولاَ كُلُّ مُؤتٍ نُصْحَهُ بلَبِيبِ . ولكَنْ إذَا ما استجمَعَا عندَ وَاحِدٍ * فَحَقُّ لهُ منْ طَاعَةٍ بنَصِيبِ . (6)

¹⁻ ينظر: ضيف شوقي : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، ط5 ، 1965 ، ص 34-35.

²⁻ من المذاهب الفارسية : المزدكية و المانوية .

³⁻ ينظر: ضيف شوقي : تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول ، ص 207 .

⁴⁻ ينظر : الأصفهاني أبي الفرج : الأغاني ، ج3 ، ص 147 .

⁵⁻ ينظر : ضيف شوقي : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص 134 .

⁻⁶ ابن برد بشار : الديوان ، ج4 ، ص 23 .

ويبدو أنه اطلع على شيئ من الثقافة اليونانية عن طريق المتكلمين ، ولاسيما المعتزلة الذين احتاجوا إلى المنطق اليوناني ليدعموا جدلهم واستدلالهم .

ولا شك أنّ (بشار) - بصفته مولى - قد تأثر بأجداده الفرس الذين كانوا أصحاب حضارة عريقة وتاريخ عظيم ونظرات إلى الكون والجمال والطبيعة ، واطلاعه على ما نُقل إلى العربية من كتبهم ، واختلاطه بكثير من الفرس ، ومعرفته وإحاطته بهذا ترك طابعاً في شعره حيث يرى (زكي المحاسني) في إحدى صوره خيالاً فارسياً آريا استدل عليه بشيئين :" فكرة التجرد الفلسفية الموجودة فيه وهي خروج الإنسان من ريحانة أو تفاحة ، وفكرة التقمص " (1)، وذلك في قوله :

يَ اللِّي تَنِي كُنتُ تُفَّاحًا مُفَلَّجَةٌ * أُو كُنْتَ فِي قُضُبِ الرَّيحانِ رَيحَانَا .

حَتَّى إذا وَجَدَتْ رَيحِي فَأَعْجَبِهَا * وَنحَنُ فِي خَلُوةٍ مُثِّلُتُ إِنسَانَا .(2)

وبالإضافة إلى الجانب الفكري يوجد الجانب العاطفي ، الذي يتمثل في انتشار الغناء انتشاراً كبيرا وإقبال الناس عليه إقبالا عظيما ، فقد انتشر المغنون والمغنيات يطربون الناس بأصواتهم وأقبلت الإماء والجواري يتعلمن هذا الفن وينقلنه ، وترك هذا كله اثره في الشعر والشعراء وفي حياة الناس . فقد احتاج المغنون والمغنيات إلى الشعر ينشدونه ويتغنون به في القصور والمجالس والبيوت وفي الأفراح والمناسبات ، فأقبلو على الشعراء ينشدون غايتهم . وكان (بشار) أكثر الشعراء نصيبا في هذا ، فقدم لهم من شعره ما رق وجمل ولم تلبث أشعاره أن انتشرت انتشارا عظيماً بحيت لم يبق مغني ومغنية في البصرة إلا ويتغنى بشعره (3) .

وعلى الرغم من انشغال (بشار) بمختلف التيارات الثقافية التي كانت تؤثر على عصره ، وعلى الرغم من اطلاعه على آراء الشعوبيين والزنادقة ، فإنّ ثقافته العربية كانت أهم ثقافة أثّرت

¹⁻ ينظر : المحاسني زكى : شعر الحرب في أدب العرب ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، (د ط) ، 1961 ، ص 127 .

^{. 196–195} من برد بشار : الديوان ، ج4 ، ص 45

^{. 149} ينظر : الأصفهاني أبي الفرج : الأغاني ، ج3 ، ص3

في شعره ، لم تطغ عليها ثقافة الشعوبية ، واستطاع على الرغم من كونه فارسيا أن يحافظ على الديباجة العربية في الأسلوب ، فكان في كثير من شعره شاعراً بدوياً لا نكاد نميزه عن الشعراء $^{(1)}$ الأوائل في أسلوبه وألفاظه وفي طريقة نظمه

والواقع أنّ (بشَّار) مثّل العصر الأموي في معظم اتجاهاته ومثّل العصر العباسي في كل ما كان يضطرب فيه ، ولا ننكر أنه كان صلة وصل بين العصريين فقد خلع الفن على شعره روعة القديم وجلاله ، ورقة الجديد وجماله $^{(2)}$. واستطاع أن يوازن بين القديم وبين الحديث فاحتفظ للشعر بأصوله التقليدية ومضى يطوّر في أغراضه ومعانيه تطويرا يختلف قلة وكثرة وسعة وعمقاً .(3) 3. الديسن : لم يكن حظ (بشَّار) من الديانات التي نسبت إليه حظا موفوراً ، والظاهر من أخباره أنّه تقلب على بعضها زمانا كالوثنية والجوسية وغيرهما ، ولكنه إلى باب الزندقة أقرب ، فقد كان لا يأبه بدين ولايراعي أخلاقاً ولا أعرافاً .(4) ولعله أكثر الشعراء الذين دار الجدل حول عقيدتهم ، فقد اتهم بالزندقة والشعوبية والإلحاد ، وأنه يدين بديانات الفرس القديمة ، واتهمه آخرون أنه شيعى متطرف ، في حين ذهب البعض إلى أنه من الخوارج ، ولعل هذا التناقض في الاتمامات التي وجهت له يعود إلى أنه شهد أخطر فترة في حياة الدولة العباسية ، فقد عاش فترة انتقال السلطة من الأمويين ، الذين يؤيدهم العرب ، إلى العباسيين الذين أقاموا دولتهم معتمدين على جيوش الفرس مؤيدين بسيوف الموالي الذين لم يساوهم الأمويون بالعرب فأثاروا بذلك نقمتهم وحقدهم (⁵⁾. فولوا الموالي مناصب كبيرة ، وساهم الفرس في نشر آرائهم ومعتقداتهم بين العرب .

¹⁻ ينظر : صالح نافع عبد الفتاح : الصورة في شعر بشار بن برد ، ص 42 .

²⁻ ينظر: البستاني بطرس: أدباء العرب في الأعصر العباسية ، مكتبة صادر ، بيروت - لبنان ، ط4 ، 1951 ، ص 58 .

³⁻ ضيف شوقي: تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول ، ص 208 .

⁴⁻ ينظر : ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : الشعر والشعراء ، ج2 ، تحق أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار الثقافة ، ييروت - لبنان ، (د ط) ، 1969 ، ص 761 .

⁵⁻ ينظر : صالح نافع عبد الفتاح : الصورة في شعر بشار بن برد ، ص 25 .

تتحدث الأخبار أنّ (بشار بن برد) صادق علماء المعتزلة (1) ، ولكنه لم يلبث أن قلب لم ظهر المجن فهجا زعيمهم (واصل بن عطاء) (2) ، ولا شك أن معاداته للمعتزلة وهم على ما هم عليه من سعة لإطلاع والتعمّق في الدين والفلسفة بالإضافة إلى منزلتهم العظيمة بين الناس قد جعل كل ما يوجّه إليه منهم في منزله اليقين ، ولعل (الجاحظ) –وهو أحد علماء المعتزلة ولى من اتهمه بالزندقة وذهب إلى أنّه " يدين بالرجعة ويكفّر جميع الأمة ويصوّب رأي إبليس في تقديم النار على الطين " (3). ويؤيد ذلك قوله :

إبليسُ خيرٌ من أبيكمْ آدَم * فتنبّـهُوا يا معشر الفُجَّـارِ . إبليسُ من نارِ وآدَمُ طِينةً * والأَرضُ لاَ تَسْمُو سُمُّقِ النارِ . (4)

وفي اتمام (الجاحظ) له بالرجعة وتكفير جميع الأمة ما ينسبه إلى عقيدة الرافضة من الشيعة وإن كان لم يحدد مذهبه من بين مذاهب الروافض ، وإلى أنّه ينتمي إلى فرقة الكاملية وهذا ما أكده (الصفدي) (5 أيضاً ، أمَّا (المبرد) فقد ألقى ما اتم به (بشًار) من زندقة على عاتق المعتزلة (6) ، وقد روي (ابن المعتز) في طبقاته أنّ بشارا كان يدين بدين الخوارج ولعل ما دفعه على هذه الرواية هو أنّه هاجم المعتزلة لتكفيرهم الخوارج ، وذهب (محمد بديع شريف) إلى أنّ زندقته سياسية كان الدافع من ورائها حركة الشعوبية (7) . ويؤكد (طه حسين) زندقة (بشًار) ويجعل لها وجهين : أحدهما علمى نظري فيه ذكر لمذهبه ودفع عنه وحاور دونه (بشًار) ويجعل لها وجهين : أحدهما علمى نظري فيه ذكر لمذهبه ودفع عنه وحاور دونه

¹⁴⁶ . 3 . 3 . 146 . 3 . 3 . 4 . 146 . 146 . 146 . 146

²⁻ ينظر : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبين ، ج1، تحق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة - مصر ، ط3 ، 1968 ، ص 31.

³⁻ ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - ابن برد بشار : الديوان ، ج4 ، ص 4 .

⁵⁻ ينظر : الصفدي صلاح الدين خليل بن أبيك : نكت الهميان في نكت العميان ، المطبعة الجمالية للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، (د ط) ط) 1911 ، ص 127 .

⁶⁻ ينظر : المبرد أبو عباس محمد بن يزيد : الكامل، ج3، تحق محمد مصطفى بدوي والسيد شحاتة ، مكتبة مصر ومطبعتها ، القاهرة - مصر مصر ، (د ط) ، (د ت) ، ص193 .

⁷⁻ ينظر : بديع الشريف محمد : الصراع بين الموالي والعرب ، نشر دار الكتاب العربي بمصر ، (د ط) ، 1954 ، ص 88.

والآخر عملي أدبي ، يشارك فيه (حمادا و مطيعا) وغيرهما من المجان فكان يدين بالرجعة ويكفر الأمة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم(1).

حقا إن (بشار) كان عابثا في مجالسه ، ولكنه أيضا كان في بعض شعره وأخباره نحده ملتزما بعقد الإيمان الصادق ، مخبراً عن نفسه بأداء الصلاة والصوم والحج وشرائع الإسلام (2).

وبما أنّه عاش بين العرب ، لاسيما المسلمين فقد تحدث عن الدين الإسلامي ، ومن يقرأ له هذين البيتين يظن أنّه كان من المتقين الأخيار :

كَيفَ يَكِي لِمحْبَسِ فِي طُلُولِ * مَن سَيْفضي لِجِبْس يوم طَويل.

إِنَّ فِي الْحَشْرِ والْحَسَابِ لشُّغْلاً * عَن وُقُوفٍ بِكُلِّ رسْمٍ مُحيل. (3)

ومن صوره التي يبدو متأثراً بالقرآن الكريم قوله متهكماً على رجلٍ يقال له (أبو سفيان) : كَيْفَ لاَتَحْمِلُ الأَمَانَةَ أَرْضٌ * حَمَلتْ فَوقَهَا أَبَا سُفيَانِ . (4)

ويقول أيضا متأثراً بالشعور الإسلامي والأخبار الإسلامية في صورة غزلية رائعة قد لايهتدي إليها الشعراء المسلمون أنفسهم ، فيقول :

وكَأَنَّهَا بَرْدُ الشَرَا * بِ صَفا ووَافَقَ منكِ فِطْرا . (5)

وربما كان قد جرب الصيام في يوم شديد الحر فألهم هذا التشبيه . وبل كان من أفقه الناس وأعلمهم بكتاب الله (6) .

¹⁻ حسين طه : حديث الأربعاء ، ج2 ، ص 192- 193 .

[.] 26 ابن برد بشار : الديوان – مقدمة الشارح ، ج1 ، ص -2

³⁻ المصدر نفسه ، ج4 ، ص 152 .

⁴⁻ المصدر نفسه ، ج4 ، ص 198 .

⁵⁻ المصدر نفسه ، ج4 ، ص 56 .

⁶⁻ ينظر : ابن المعتز : طبقات الشعراء ، تحق أحمد فراج عبد الستار، دار المعارف للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، ط2 ، 1956 ، ص

وهو كما نرى لم يلبث على عقيدة معينة ولم يكن من هؤلاء الذين يفنون في معتقداتهم والذين لا يبالون مايجرهم عليهم تمسكهم بآرائهم. لقد عاش في زمان كثر ظرفاؤه (1) ، فشعره من هذه الناحية يمثل ما يحس به في نفسه وما يضطرب به مجتمعه ، شعر يمكن أن يقال فيه أنه مزيج حاول فيه أن يوفق مايرضي به قومه من الفرس وما آمن به بعضهم من معتقدات ، وأن يرضي كثيرا من أصدقاءه اللاهين ومن كانت تدور حولهم التهم بالزندقة والجون ، وحرص أيضا أن يبدو مؤمنا ذلك الإيمان الذي آمنه كثيرون في عصره ، إيمان لا يهمهم في كثير أو قليل أو يكون صادقا نابعا من قلوبهم ، وهو من الذين لا نستطيع أن نتهمهم في معتقدهم اتحاما يصل على درجة اليقين فنلصق بهم تهمة الكفر والإلحاد والزندقة ، فلم يجدوا في كتبه بعد قتله ما يدل على شيئ مما كانوا يرمونه به بل وجد كتاب له يذكر فيه أنه أمسك عن هجاء آل سليمان بن علي لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم (2) .

ثانياً : أهم الجذور النفسية المساهمة في خلق الصورة عند بشار بن برد :

إذا كان الشعر تجسيماً للمشاعر والوجدانات وتعبيراً عما في النفس من عواطف تخالجها فإنه يأبي مهما كان صاحبه متخفياً لا يريد إظهار عواطفه ورغباته للناس ، يأبي أن يبدي تلك الرغبات وينم عن اللواعج والآمال والآلام ولو من وراء حجاب (3) ، والمرء يمر في لحظات حافلة بعوامل التعبير من مرح واكتئاب ، فرح وحزن ، سعادة وألم ، والمتوقع حينئذ أن التوترات التي يمر فيها الإنسان يمكن أن تنعكس رضي أم لم يرض ، في العمل الفني الذي يقوم به . (4) سيّما في مجتمعات لم يشع عليها نور العلم أو لم تتقوّم بمعايير الأخلاق ، من لم يرضخ لواقعه كأنّه يأبي أن يعترف بعماه ، فهو حزين قلق دهرَه ، شديد الإحساس بالحرمان والشعور بالنقص ويبدو ذلك في يعترف بعماه ، فهو حزين قلق دهرَه ، شديد الإحساس بالحرمان والشعور بالنقص ويبدو ذلك في

¹⁻ ينظر : الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة نحضة مصر ، (د ط) ، 1965 ، ص 176 .

²⁻ ينظر : المبرد أبو عباس محمد بن يزيد : الكامل، ج3، ص 193.

[.] 88 . 88 . 88 . 9 .

⁴⁻ ينظر : البسيوني محمد : الشخصية الفنية ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، (د ط) ، 1976 ص 136 .

تصرفاته وأقواله ، ولنعرض سطوراً من حديث (طه حسين) عن حال المكفوفين تبين شدة كرب هذه العاهة على صاحبها ، فإنه رجل عانى من هذه المشكلة ، واكتوى بما عكسته في قلبه من حرارة الإحساس بالحرمان ، ومرارة الفقر إلى الناس ، يقول : " أثر هذه المصيبة من الحزن عظيم يلزم صاحبه في جميع أطوار حياته ، لايفارقه ولا يعدوه ، ذلك لأنه لايذكر بصره كلما عرضت له حاجة ، وكلما ناله من الناس من خير أو شر ، بل كلما لقيهم في مجمع عام أو خاص فما يزال الحزن يؤلمه ويخزّه إلا أن يفقد الشعور وتصيبه البلادة ... " (1).

ويقول: " والمكفوف إذا جالس المبصرون أعزل وإن برّهم بأدبه وعلمه وفاقهم في ذكائه وفطنته ، فقد يتندرون عليه بإشارات الأيدي ، وغمز الألحاظ وهز الرؤوس ، وهو عن كل ذلك غافل محجوب ، فإن نمّت عليهم بذلك حركة ظاهرة أو صوت مسموع فحجته عليهم منقطعة ، وحجتهم عليه ناهظة ، وليس له من ذلك إلاّ ألمّ يكتمه ، وحزن يخفيه ، ثم إن اشتد ذكائه ، وانفسح رجاؤه كثرت حاجته إليهم ، وكثرت نعمهم عليه ، وليس له تحصيل قوته إلاّ بمعونتهم ، وهو عاجز عن الكتابة والتحرير إلا إذا أعانوه وتطاولوا عليه ، وللمنن المتظاهرة والآلاء المتواترة في نفس العاجز الفطن أثر هو الشكر يشوبه الحزن ، والثناء يمازجه الأسى والحرمان أخف عليه من منة يعقبها من ، ونافلة يشوبها استطالة ، ولشعور الإنسان بعجزه وقع ليس احتماله ميسورا ، ولا الصبر عليه إلا متكلفا ..." (2).

حيث يرى احد الباحثين " أنّ عجز الكفيف عن الرؤية ينشأ عنه اختلاف في أنماط سلوكه وعجزه عن الرؤية يجعله في مجال الإدراك أقل حظاً من المبصر ، فيكون عالمه بسبب ذلك عالما ضيقا محدوداً لنقص خبراته في العالم الذي يعيش فيه ، كما يجعله في مجال الحركة حذراً ويقظاً... " (3) ، يضاف على ذلك أنّ هذا العجز يقوى عنده عندما يسهم

¹⁻ حسين طه: تجديد ذكري أبي العلاء، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط9، (د ت)، ص 112.

²⁻ المرجع نفسه ، ص 112 - 113.

³⁻ ينظر : سيد خير الله : سيكولوجية الطفل الكفيف وتربيته ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة - مصر ، (د ط) ، 1967 ، ص 26 .

الجماعة في تثبيت هذا الشعور الذي يفرض عليه عالماً محدودا ، ولكنه يرغب في الخروج من عالمه الضيق لإندماج في عالم المبصرين الذي يخشاه ، فتكون النتيجة معاناة وقلقا مستمرين فيحيا تحت تأثير هذا القلق حياة تفرض عليه أن يعيش في صراع بين عالم المبصرين وعالمه الخاص به ، فيلجأ نتيجة لذلك إلى أنواع من الحيل المساعدة في هروبه من هذا الواقع ، فإمّا أن يسلك سلوكا تعويضيا متحديا عجزه ، أو يلجأ إلى العزلة التي تشعره بالراحة والأمان (1).

ويرى أيضا (أدلر adler) أنّ: "القصور في بعض الأعضاء يزيد من الشعور بالقلق وعدم الأمان، ويؤثر دائما على حياة الشخص النفسية، لأنّه يحقره في نظر نفسه ويزيد شعوره بعدم الأمن "(2).

وأولى أن نضرب المثل بأعظم شعرائنا تأثرا بمشكلته هو (بشار بن برد) الذي ذهبت عيناه ، ومُسخ مُعياه ، فلقد كان ينوء بعبء هذه الآفة صباحاً مساء ، لا يفارقه التفكير فيها وغالب أخباره المروّية تنم عن ذلك ، فالناس جميعا كانوا يصبّحونه ويمسّونه بالتجريح والإهانة بعماه (3) .

وعوامل مختلفة جعلته يسرف في هجائه وفخره ، من ذلك أنّه كان يريد أن يشتهر في هذين الفنين شهرة جرير والفرزدق ، ومن ذلك أنّ نفسه كانت تنطوي كما أسلفنا على غير مرارة بسبب فقده لبصره ، وهي مرارة زادها اضطرابا أنّه كان مولى ، والموالي كانوا متخلفين في المجتمع الأموي ، وكان فقيراً بائساً ، فاندلع ينفّس بفخره وهجاءه عن قروحه النفسية (4).

ومن هنا سنحاول إبراز أهم الجذور النفسية المساهمة في خلق الصورة عند شاعرنا التي نظن أخمّا حملت هذا التأثر في شعره ونسلط عليها الضوء من شعوره بالحرمان وسخطه وتبرمه على ما يحيط به ، واعتزازه بنفسه (تضخم الأنا) ليعوض عن فقده لبصره .

¹⁻ ينظر : المرجع نفسه ، ص 31 .

²⁻ ينظر : عباس يوسف محمد : دراسة في الإعاقة وذوي الإحتياجات الخاصة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، (د ط) (د ت) ، ص 140 .

³⁻ ينظر : الدوخان محمد بن أحمد : الصورة الشعرية عند العميان في العصر العباسي ، ص 77 .

⁴⁻ ينظر: ضيف شوقي : تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، ص 214 .

1. الشعور بالحرمان:

نشأ (**بشار بن برد**) في أسرة فقيرة تكد وتكدح لتحصّل قوتها ، فقد عمل أبوه طياناً وعمل أخواه (بشر) و (بشير) قصابين ، $^{(1)}$ يبيعان اللحم ، ولم يكونا سويين إذكان أحدهما أعرج والآخر أبتر اليد (2) ، وهذا ما يفسر أنّ أسرته كانت تعيش في فقر ، ولا يخفى مايتركه هذا العامل من ألم ومرارة في النفس نتيجة الحرمان (3) ، وهو ما يحسه الإنسان عادة عندما يرى غيره ينعم باللذات والخيرات ويقبع هو على ذكائه وتفوقه بعيداً ، هناك تضطره لقمة العيش أن يركب رجليه ويقطع الأرض من مكان لآخر يرجو ويستعطف ويسأل الناس. وينطلق بلسانه معبراً عن ألمه متمنياً أن تنتهي به الحياة فيريح ويستريح (⁴⁾ . أمّا (بشار) فتكمن معاناته في تلك الأبيات الكثيرة التي يصّر فيها على أنّ العمى لم يعقه في تحصيل لذة أو منفعة ، (ويرى طه حسين) أنّ بشار صادق في شعره في الحرمان ، وبخاصة حرمان الملوك إياه من العطاء ، إذن ليس بالشاعر المخلص ولا الصادق حين يمدح ، ولا حين يتغزل ، ولا حين يرثى ، ولعله إن صدق إنّما يصدق في موضوعين اثنين من شعره: يصدق حين يهجو ، لا أريد أن يصف الناس بما فيهم ، ويضع يده على مواضع العيب من أخلاقهم وسيرتهم ، وإنّما يريد أنه يصدق حين يهجو ، لأنّه يصف نفسه ، ويمثل سخطه على الناس وما يظطره إليه هذا السخط الشديد من ألوان الإسراف والظلم وضروب الإعتداء . ويصدق حين يذكر نفسه وسوء مكانه من الناس ، وبنوع خاص حين يذكر -كما قلنا- حرمان الذين مدحهم إياه ، وبخلهم عليه بماكان ينتظر ، هو في هذا الموضوع من شعره صادق⁽⁵⁾ ، حيث نرى في أبياته هاته أنّه صادق ، وهي التي قالها حين مدح (المهدي) ، وألح في مدحه ، فحرمه ، وألح في حرمانه :

¹⁻ الأصفهاني أبي الفرج: الأغاني ، ج3 ، ص 207.

²⁻ ضيف شوقي : تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول ، ص 202 .

³⁻ ينظر : نافع صالح عبد الفتاح : الصورة في شعر بشار بن برد ، ص 19 .

[.] 207 ص 3 ، ينظر : الأصفهاني أبي الفرج : الأغاني ، ج3 ، ص 4

⁵⁻ ينظر : حسين طه : حديث الأربعاء ، ج2 : ص 202 .

- خَليلَّى إِنَّ العُسْرِ سَوفَ يُفِيقُ * وإنَّ يساراً في غدٍ لخلِيقُ .
- ومَا كنتُ إلاّ كَالزمانِ إذا صَـعَا * صَحوتُ وإنْ ماقَ الزمانُ أَمُوقُ .
- أأَدْماءٌ لاأست طيعُ في قلّة الثرى * خزورا ووشياً والقليلُ مُحيقُ .
- خُذى مِن يدِي مَا قل إن زمـاننا * شموسٌ ومَعروفُ الرحـال رَفيقُ .
- لقد كنتُ لا أرضى بأدني معيــشةٍ * ولايشتــَكِي بخُلاً علَى رَفيقُ.
- خَليليّ إنَّ المَال ليس بنافع * إذا لم ينسَل منهُ أخُّ وصَديقُ .
- وكُنتُ إذا ضَاقَت عَلَى محلَّةٌ * تيَممتُ أحرى مَا على تضيق.
- ومَا خَابِ بِينِ الله والناسِ عَاملٌ * له في التقى أو في المحامد سوق.
- ولا ضَاق فَضْ لَهُ عن متعففٍ * ولكنّ أخلاقَ الرجَالِ تضيقُ . (1)

وهو صادق حين يشكو ، وحين يظهر أنه لا يحتمل ضيق الحياة ، فقد كان واسع العيش مترفا منعما في البصرة ، وإنما كان هذا كله يأتيه من الشعر ، فليس غريبا أن يسوءه حرمان المهدي إياه ، وليس غريبا أن يحزنه هذا الحرمان .(2)

ونحن لا نجد ذلك فحسب بل يظهر الصدق العاطفي في الحرمان العام من الملذات التي افتقدها حين افتقد بصره وحاصرته الحوادث الأخرى ، وكأنّ الرجل فيما نستوحي من أخباره وأشعاره ، حُرمت عليه كرامة الحياة التي يتمتع بها الأخرون فهو لايبرح يلح على الإحساس بها ، ويبدو ذلك واضحا في ردوده على مجادليه ، وفي أشعاره التي يعتز بها بنفسه ، ويظهر من مقدرته على التمتع بمباهج الحياة . (3) كما نرى ذلك في القصيدة التي أولها :

قَدْ لاَمَنِي فِي خَليلَتِي عُمَرُ * واللَّومُ فِي غَيرِ كُنهِهِ قَدَرُ. (4)

ومن ذلك قوله:

^{. 114–113} ص 4- ابن برد بشار : الديوان ، ج

²⁻ ينظر : حسين طه : حديث الأربعاء ، ج2 ، ص 203 .

³⁻ ينظر : الدوخان محمد بن أحمد : الصورة الشعرية عند العميان في العصر العباسي ، ص 91 .

^{. 169} بن بشار : الديوان ، ج3 ، ص 4

- إِذَا مَا شئتُ غنَّانِي كَرِيمُ * لهُ حسبٌ وليسَ لهُ تيلادُ .
- يصب لســـانه طُرفاً علينا * كَما تتساقط النُطفُ السُدادُ .
- فلمَّا حثتْ الصهـ باء فينًا * وغَرِّد صَاحبي وخَلا المساد .
- شَربنا مِن فُؤَادِ الدَّنِّ حَتى * تركنا الله فؤاد .
- وعَيشي قدْ ظَفرتْ به كداداً * ألذّ العيشِ ما جَلَبَ الكِدادُ .(1)

وشاعرنا (بشار بن برد) رجل أبى إظهار الضعف والتخاذل أمام مأساته مع ماكان يمتلئ به صدره من الحسرة والكمد ، ومع هذا فقد انعكس ذلك على كثير من شعره ، وإن لم تنفرد به قصائده ، ولكن نجد له بعض المقطوعات التي يصرح فيها بفراغه وحرمانه (2) ، يقول :

- خطبْتُ عَلَى حَبِلِ الزَمَانِ لَعَلَّهُ * يُسَاعِفني يَوْماً وقَدْ كَانَ أَنكَبَا .
- خُلقتُ عَلَى مَا فِيَّ غَرَصِيرَ مِخيَّر * هَوايَ ولَوْ خُيرِّتُ كَنْتُ المهذَّبَا .
- أُرِيدُ فَلاَ أُعْطِى ، وأعْ طَى فَلَم أُرِدْ * وقصَّرَ عِلْمِي أَنْ أَنَالَ المِعْيبَا .
- وأُصْرَفُ عنْ قَصْدي وحِلميّ مُبلِّغي * وأُضْحي وما أَعْقبتُ إلاَّ التَّعجُّبا.

فهو يرى هنا أنّ حظه كان تعيسا ، لم يساعده زمانه الأنكب ، وليس له تصرف حتى يستطيع تغيير ما فيه من البلاء والنقص .

فمن الملاحظ من أحبار (بشار) المروية تنم عن ذلك ، فالناس جميعا كانوا يصبحونه ويمسونه بالتجريح والإهانة بعماه ، فيقال له : كيف تحسن هذا وأنت أعمى ؟ وقائل : كيف قلت هذا وأنت لاتبصر شيئا ؟ أو : كيف يهابك الناس وأنت على هذه الخِلقة ؟ أو قائل له : مالك والنساء وأنت لاتبصر جمالهن ؟ ومن ذلك ما رُوي : أنّه سمع كلام إمرأة فعلقها قلبه وراسلها يسألها أن تواصله ، فقالت لرسوله : وأيّ معنى فيك لي أو لك فيّ وأنت أعمى لاتراني فتعرف

¹⁻ المصدر نفسه ، ج4 ، ص 46 .

²⁻ ينظر : الدوخان محمد بن أحمد : الصورة الشعرية عند العميان في العصر العباسي ، ص 92 .

[.] 270-269 , 370-269 , 370-269 , 370-269 , 370-269

حسني ومقداره ، وأنت قبيح الوجه فلا حظ لي فيك ، فليت شعري لأي شيئ تطلب وصال مثلى ، وجعلت تمزأ به في المخاطبة . (1)

ويظهر ذلك في أبياته هاته :

وَعَيَّرَنِي الْأَعدَاءُ والسعَيبُ فِيهُمُ * ولَيس بِعَارِ أَنْ يُقَال ضَرِيرُ.

إِذَا أَبْ صَرَ المروةُ والتُّقَى * فَإِنَّ عَمَى العَينينِ ليسَ يَضِيرُ.

رَأَيتُ العَمَى أَجراً وَذُخراً وَعِصمَةً * وَإِنِي إِلَى تلكَ الثَلاثُ فَقيرُ . (2)

ولقد كان أيضا يتخوف ويتحاشى مثل قول (أبي الشمقمق) حيث كان يعطيه في كل سنة مائتي درهم ، فأتاه أبو الشمقمق في بعض تلك السنين فقال له : هلُمَّ الجزية يا أبا مُعاذ ، فقال : ويحَك ! أجزية هي ! قال : هو ما تسمع ، فقال له بشار يمازحه : أنت أفصح مني ؟ فقال : لا ، قال ناس ؟ قال : لا ، فقال له أعطيك؟ قال : لئلا أهجوك ن فقال له : إن هجوتني هجوتك ، فقال له أبو الشمقمق : هكذا هو ؟ قال : نعم ، فقل ما بدا لك ، فقال أبو الشمقمق :

إِنِي إِذَا مَا شَاعِرٌ هِجَانِيةٌ * وَلِجُ فِي القَولِ لَهُ لِسَانِية .

أَدْخَلتهُ فِي آست أُمِه عَلاَنيةً * بَشَّارِ يَا بَشَّارِ...

فوتب بشار فأمسك فاه ، وقال : أراد والله أن يشتمني ، ثم دفع إليه مائتي درهم ثم قال له: لا يسمعن هذا منك الصبيان يا أبا الشمقمق . (3)

ولقد اتخذ خصومه من قباحته وشناعته تغرة يهاجمونه منها ، والغريب أنّ (بشار) يتوقع منهم هذا ويخشاه لأنه يحس ذلك في أعماقه (⁴⁾ ، فعندما هجاه (حماد عجرد) :

وَيَا أَقبَحَ مِن قِردٍ * إذا مَا عُمِي القِردُ.

¹⁻ينظر : الأصفهاني أبي الفرج : الأغاني ، ج3 ، ص 194-195 .

²ابن برد بشار : الديوان ، ج4 ، ص 52

³⁻ ينظر : الأصفهاني أبي الفرج : الأغاني ، ج3 ، ص 194 - 195 .

⁴⁻ ينظر : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبين ، ج1 ، ص 31 .

بكى وجزع ، وعندما سئل عن سبب بكائه وحماد دونه شعراً ، قال : " لأنه يراني فيصفني ولا أراه فأصفه $^{(1)}$.

لهذا فإن فقر وحرمان (بشار بن برد) بالإضافة لحبه لمتاع الدنيا وملذاتها ترك أثراً في نفسيته ، حيث جعلته لا ينفك أن يتذكر مكانته في المجتمع و سيئ الظن بالناس مسرفا في سوء الظن .

2. السخط والتبرم:

وإنّ من أقصى المواقف وأقواها إذلالاً لشخصية الكفيف السخرية والإستهزاء ، لأمّا تزيده عجزا وتقصيرا كما تزيده شعوراً بالظلم الذي يحيط به مما يؤدي إلى الإنزواء تاركا لخياله أن يحلق في أحلام اليقظة كوسيلة تعويضية لشعوره بعجزه وتقصيره (2) ، لهذا فإنّه يعبر عن الظلم الذي يحيط به بالتمرد وإعلان الثورة على الظلمين من الحكام (3) ، ويتمرد على مجتمعه ، فلا يملك وسيلة لذلك إلاّ لسانه ، ونعني بحذه الكلمة مفهومها الواسع بما يشمله من معاني الغضب والضجر والكره والنقمة والشكوى ، وأبرز مظاهر هذا السخط والتبرم هجاء الناس أو السخرية بهم والتهكم عليهم ، والساخط على الناس ساخر بالناس إن تيسرت له هذه الملكة ، وحريّ بقسوة المرض الأليم ووقع العاهة الشديدة على المرء أن يعودا عليه بموقف حسّاس يقابل فيه الناس بالتحفّز والحذر ، سيّما إذا عُومل معاملة جافية ، ولم تقدّر ظروفه ، ولم تحترم مشاعره فيلجأ إلى التبرم من الناس ، ومن ثم إلى الشتيمة والنقد تحملها تلك الألفاظ السوداء ، ونتيجة لهذا الفقد الجسيم كما يتصوره بعض المكفوفين ، أو كما يُصوّر له فإنّه قد يجنح إلى المس من الآخرين والنيل منهم على وجه يرضي شعوره ويطفئ من لهيب الغيظ ، فلا يتحفّظ في نقد من عارضه أو تقرض له ، وإذا ما

¹⁻ المرجع نفسه ، ج1 ، ص 30 .

²⁻ ينظر : بركات أحمد لطفي : الفكر التربوي في رعاية الطفل الكفيف ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، (د ط) ، 1978 ، ص

³⁻ ينظر: السعيد محمد مجيد: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، الدار العربية للموسوعات، ط2، 1985، ص 223.

أوتي أداة الشعر فربما سخرها لهذا ، وإذا قل المر فكبت من سخيمة نفسه فلا تعدو أن ترى مسحة من التهكم والسخرية في شعره (1) .

وإذا تحدثنا عن (بشار بن برد) فقد ترك العمى أثراً عميقا في نفسيته ، فجعله متبرما بالناس ساخطاً على المجتمع كارهاً للناس سيئ الظن بهم $^{(2)}$ كما جعله هائجاً ساخطا طوال حياته لا يتقبل الأمر الواقع ويذكره بمصابه كل ما يحدث له من أحداث عيشية ، ويذكّره به الناس عامدين أو غير عامدين $^{(3)}$. وتصبح آفته مصدراً لما نجده عنده من سوء الخلق وشدة البغض للناس والموجدة عليهم وإضمار الشر لهم والإسراف في السخرية منهم $^{(4)}$.

ويرى (طه حسين) أنّ (بشار) يصدُق حين يهجو ، ولا يريد أنّه صادق في وصفه لمعايب المهجو إنّما " لأنّه يصف نفسه ويمثل سخطه على الناس وما يظطره إليه هذا السخط الشديد من ألوان الإسراف والظلم وضروب الإعتداء "(5) ، وبشار حين لم يهجر الناس ولم يترك موداتهم طلبا للسلامة فإنه استعاض بسيف الهجاء والسخرية يذود به عن نفسه ويكيل لخصمه من هجموه وسطوه ، ومع ما عُرف أنّه كان يختلط مع الناس وربما أنس بزوّاره فإنه ينطوي على كُره عميق ، وله أخبار وأشعار كثيرة تنبئ عن بغضه للأنام وعدم ثقته بمعاشريه (6) ، وهو يتحسر على فقدان الصديق المخلص في سره وعلنه ، في شدته ورخائه ، لذا نراه يقول :

حَيْرُ إِخُوانِكَ المشَارِكُ فِي المُرِّ * وأَيْنَ الشريكُ فِي المرِّ أَيْنَا.

الذِي إِنْ شهِدتَ سَرَّكَ فِي الحَي * وإِنْ غِبْت كَـانَ أُذِناً وعَينَا .

أنتَ في معْشَرِ إِذَا غِبْتَ عَنهمْ * بَدَّلُواكلَّ ما يزينكَ شيْنا .

¹⁻ ينظر : الدوخان محمد بن أحمد : الصورة الشعرية عند العميان في العصر العباسي ، ص 59- 96 .

^{. 141} منظر : الأصفهاني أبي الفرج : الأغاني ، ج3 ، ص -2

³ - 9 م 3 - 9 ، 9

⁴⁻ ينظر : حسين طه : حديث الأربعاء ، ج2 ، ص 166 .

⁵⁻ ينظر :المرجع نفسه ، ج2 ، ص 202 .

^{. 141} منظر : الأصفهاني أبي الفرج : الأغاني ، ج $\bf 6$ ، ص $\bf 6$

وإِذَا مَا رَأُوكَ قَالُوا جَمِيعاً * أَنْتَ مِن أَكْرِمِ الرِّجالِ عَلَينَا . مَا أَرى للأَنَامِ زُوراً ومَينْنا . (1) مَا أَرى للأَنَامِ زُوراً ومَينْنا . (1)

بل تمادى أكثر في انتهاجه للهجاء المؤلم مع الإقداع والفحش بقوله عندما سئل عن كونه كثير الهجاء ، فقال : " إنني رأيت الهجاء المؤلم آخذ بضبع الشاعر عن المديح الرائع ومن أراد من الشعراء أن يكرم في دهر اللئام على المديح فليستعد للفقر وإلا فليبالغ في الهجاء ليخاف فيعطى "(2).

وهناك عامل آخر إلى جانب العمى أثّر في تعقيد نفسيته وتكوين مركب الشر عنده ، فهو قبل كل شيئ مولى ، وكان يحس ويشعر بمعنى هذه الكلمة ، فالموالي كانت لهم نظرة خاصة في العصر الأموي ، هم في الدرجة الثانية أو الثالثة ، لا يعاملون كما يعامل العرب ويُنظر إليهم نظرة ذات مغزى ، هذا من الناحية العنصرية (3) ، أمّا من الناحية الفنية ، فقد استكثر العرب عليهم قول الشعر وكانوا يرون أنّ الشعر ليس من حقهم وأنهم لم يخلقوا له (4) . وسنحاول أن نوضح بمثال أنّه أنّه دخل أعرابي على (مجزأة ابن ثور السدوسي) وبشّار عنده وعليه بِرّة الشعراء ، فقال الأعرابي : مَن الرجل ؟ فقالوا : رجل شاعر ، فقال : أمولى هو أم عربي ؟ قالوا : بل مولى ، فقال الأعرابي : وما للموالي وللشعر ! فغضب بشار وسكت هنيهة ، ثم قال : أتأذن لي يا أبا ثور ؟ قال : قل ما شئت يا أبا معاذ (5) ، فأنشأ بشار يقول :

أَعَاذِلُ لَا أَنَامُ عَلَى إِقْتَسَارِ * وَلَا أَلْقَى عَلَى مَولَى وجَّارٍ.

سَأَخْبِرُ فَاخِرَ الأَعْرَابِ عَنِي * وعَنهُ حِينَ بارَزَ للِفَخَرِابِ .

أَنَا ابِنُ الْأَكْرَمِينَ أَبِاً وأُمَّا * تَنَازَعَنِي المِرَازِبُ مِنْ طُخَارٍ.

²⁻ ينظر: الأصفهاني أبي الفرج: الأغاني ، ج3 ، ص 207 .

³⁻ ينظر: صالح نافع عبد الفتاح: الصورة في شعر بشار بن برد، ص 19.

⁴⁻ ينظر: الأصفهاني أبي الفرج: الأغاني ، ج3 ، ص 166 .

[.] ينظر : المرجع نفسه ، ج3 ، الصفحة نفسها .

- أحين لبستَ بعدَ العُري خزاً * ونَادَمتَ الكِرَامَ عَلَى العُقَارِ .
- تُفَاخِرُ يا ابْن راعبِيةٍ وراع * بَني الأحْرارِ حَسْبُكَ مِن خَسَارِ .
- وكُنتَ إِذَا ظَمِئتَ إِلَى قَرَاحٍ * شَرَكْتِ الكَلْبِ فِي ذَاكَ الإِطَارِ.
- يريغُ بخطْبهِ كــسر المؤالي * وتَرْقُصُ العَـصِير والسّمار .
- وتُدْاجُ للقَانِد تدريها * وَيُنْسِيكَ المِكارِ صَيدُ فَارِ .
- وَتَغْدُو فِي الكِرَاء لِنَيْل زَادٍ * ولَيسَ بسَيّدِ القَومِ المِكَارى.
- وفَحْرُكَ بِين يَرْبُوع وَضَبٍ * عَلَى مِثْلِي مِنَ الْحَدَثِ الْكِبَارِ. (1)

فقال مجزأة للأعرابي: قبحك الله! فأنت كسبت هذا الشر لنفسك ولأمثالك (2). والأبيات لا شك فيها سخرية مريرة وتحكم لاذع من هذا الأعرابي، وفيها لمز لصفات الأعراب عامة وعاداتهم القبيحة، وفيها ذكر لتخلفهم وانحطاطهم. ولكننا لو أحطنا بملابساتها لرأينا أن بشاراً اضظر لقولها رداً على أعرابي سخر منه ومن كونه مولى، بمعنى أنه سخر من شخصه ومن جنسه فقال: الأبيات ثأراً لكرامة ورداً لإهانة. فالأبيات لاتعبر عن حقيقة الشاعر وأنّه يكن الكره والبغضاء والإحتقار للعرب، إنمّا ثورة النفس عندما تحس بجزع أو إهانة تنطق بلا شعور أو وعي ليلتئم الجرح وترد الإهانة (3).

لهذا لم يعرف هذا العصر رجلا أطول منه لسانا ، ولا أسرع منه إلى شر ، ولا أشد منه إمعانا بالفحش إذا هجا (4) ، وليس من الهين على رجل كبشار قد منحه الله قوة العقل ، وشدة الذكاء ، وحدة الذهن ، ونفاذ البصيرة ، ومنحه إلى ذلك قوة البصيرة ، ومنحه إلى ذلك قوة الجسم ، ودقة الحس ولطفه ، ومنحه إلى هذا وذاك نفسا ثائرة مضطربة . شرهة إلى اللذة ، لا تقنع منها بالقليل ، لهذا ليس من الهين عليه أن يحتمل آفة العمى ، راضيا بها ، مطمئنا إليها ، وإنمّا

[.] $231 \ _230$ س 3-3 الديوان ، ج 3 ، ص 3-3 الديوان ، ج 3-3

^{. 167} منظر : الأصفهاني أبي الفرج : الأغاني ، ج3 ، ص-2

^{. 26} منظر : صالح نافع عبد الفتاح : الصورة في شعر بشار بن برد ، ص-3

⁴⁻ ينظر : حسين طه : حديث الأربعاء ، ج2 ، ص 190 .

المعقول أن يحدث ذلك في نفسه سخطا شديدا على الحياة والأحياء (1).

ومن ذلك قوله في هجاء (عبيد الله بن قرعة : وهو أبو المغيرة أخو الملوي المتكلم) وهذا من هجائه المقذع الخبيث فقد أضفى على شعره الهجائي ألوانا من السخرية اللاذعة بالمهجو والتي تزيد من مهانته والتشنيع به ، فهو لم يكتف بذم المهجو وتجريده من الفضائل والخصال الحميدة ، وإلصاق النقائص به ، إنَّما زاد على ذلك بأن رسم بشعره شخصية عجيبة وغريبة للمهجو تثير الإشمئزاز أو الضحك ، كقوله :

خّليلِي من كَعبٍ أَعينَا أَخاكُمَا * عَلَى دَهْرِهِ إِنَّ الكَرِيمَ مُعينُ .

ولا تَبْخَلا بخْلَ ابنْ قـزعَة إنَّهُ * مخافـة أَنْ يُرجَى ندَاهُ حزينُ .

إِذَا جِئتَهُ فِي الخِلقِ أَغْلِقَ بِابَهُ * فَلَم تلمْ تلقهُ إِلاَّ وأَنتَ كَمينُ .

إِذَا سَلَّمَ الْمِسْكِينُ طَارَ فَوَادهُ * مِخَافَةَ سَـوْلٍ ، واعتَراهُ جنُونُ .

كَأَنَّ عبيدَ الله لمْ يرَ ماجِداً * ولمْ يدر أنَّ المكرمات تكُونُ . (2)

أضف إلى هذا أنّ حياته تدلنا على أنّ أهل عصره لم يكونوا أرقاء ، ولا حريصين على الرفق وحسن الأدب ، وإنّما كانوا يسخرون منه ويعبثون به ، ويسرفون في ذلك ، حتى يبلغوا إعانته ، ويخرجوه عن طوره ، فكان هذا كله مصدرا لما تجده في هذا الرجل من سوء الخلق ، وشدة البغض للناس ، والموجدة عليهم ، وإضمار الشر لهم ، والإسراف في السخرية منهم . (3)

ومما نلاحظه أنَّ بشَّار أكثر من سخطه وتبرمه من الناس ، بحيث لم ينجو أحد من لذغاته المؤلمة ، وجراحاته الدامية إلاّ من لا يعرفه .

3. الشعور بالأنا (تضخّم الأنا):

عندما نلقي نظرة عابرة على شعر (بشار ابن برد) فإنّنا سنلاحظ أنّ حب الذات طاغية على عالمه النفسي ولعل تضخم الأنا متأت نتيجة الأثر السلبي الذي تتركه عاهة العمى في نفسه

¹⁻ينظر: حسين طه: حديث الأربعاء، ج2، ص 189.

² ابن برد بشار : الديوان ، ج1 ، ص 590 .

^{. 190} منظر : حسين طه : حديث الأربعاء ، ج2 ، ص-3

وما تنطوي عليه المواضعات الاجتماعية من إشفاق وضعف التقدير له من الآخرين ، واختلال القيم والمعاملات تجاهه ، ولا وسيلة له للهرب من وطأة هاته الحياة من حوله كما يفعل أشقاؤه المبصرون إلا بالإنكفاء على ذاته وتضخيمها كي يشعر بالإتزان الاجتماعي هذا من جهة ومن جهة أخرى بسبب تراكمات نفسية في طفولة الشاعر فوصلت إلى حالة مرضية فتضخمت هاته الأنا ، فأصبحت تشكل محوراً بارزاً نستطيع من خلاله أن نستجلى اللاشعور في شعره .(1)

فلهذا اتجه إلى الشعر ينهل من مصادره ويقبل عليه حتى برع فيه وأصبح في أول مرتبة المحدثين من الشعراء المجيدين (2) ، بل أستاذ المحدثين وسيدهم ومن لايقدم عليه ولا يجاري في ميدانه (3) ، ويرى فيه (الجاحظ) أشعر القرويين على الإطلاق (4) . وكأنّه رأى فيما وصل إليه من منزلة شعرية عظيمة فرصته لتحدي الآخرين ، فولّدت هذه المنزلة في نفسه اعتداداً مسرفاً ، هو نوع من الاعتداد المقيت ، ولعلّه صدى أو انعكاس لماكان يعانيه من اضطراب في نفسيته وبسبب معاملة المجتمع له ، أو لعله للذات بسبب ما لحق به من جور واضطهاد . (5) لهذا فإنه لايبرح أن يفخر بنفسه في مثل قوله :

اطلُبْ رضَاي ولا تطلبْ مُشَاغبَتي * لاَ يَحْمِلُ الضِرعُ المَقورُ أَعْبائِي.

أنا المرعَثُ لاَ أَحْفَى عَلَى أَحدٍ * ذَرت بِي الشَّمسُ للدَاني وللنَائِي .

يَغدُو الْخَلِيفَة مثْلي في محَاسِنهِ * ولَسْتَ مِثلي فنَمْ يا مَاضغَ الماءِ . (6)

نرى في الأبيات أنّ الأنا قد سيطرت على أغلب أبيات القصيدة من خلال تأكيده بضمير (الأنا) كي يحقق الإتزان والرضى عن نفسه مثل : (اطلب رضاي ، أنا المرعث ، لا أخفى

¹⁻ ياسين معتز قصي: البواعث النفسية في شعر بشار بن برد ، مجلة دراسة البصرة ، البصرة - العراق ، (د ط) ، 2013، ص 157.

²⁻ ينظر : ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر : وفيات الأعيان ، ج1 ، ص 245 .

³⁻ ينظر : ابن المعتز : طبقات الشعراء ، ص 24 .

⁴⁻ ينظر: الأصفهاني أبي الفرج: الأغاني، ج3، ص 141.

⁵⁻ صالح نافع عبد الفتاح: الصورة في شعر بشار بن برد ، ص 21 .

⁶⁻ ابن برد بشار : الديوان ، ج1 ، ص 148 .

على أحد ، يغدو الخليفة مثلي) وهو يتكلم وفي نفسه ثقة كبيرة بأنّ ما يهجو به الآخرين مسلم به .

ونرى (الأصمعي) يقول: ولد بشّار أعمى فما نظر على الدنيا قط، وكان يشبه الأشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لايقدر البصراء أن يأتوا بمثله (1)، فقيل له يوماً وقد أنشد قوله:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّفِعِ فوقَ رؤوسَنا * وأسيافَنا لَيلٌ تَهَاوَى كُواكبُهُ . (2)

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيئا فيها ؟ فقال : إنّ عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنهم الشغل بما يُنظر إليه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته (3) ، ثم أنشدهم قوله :

عَمِيتُ جَنِيناً والذَّكاءُ مِن العَمَى * فَحِثتُ عَجيبَ الظَنِّ للعِلمِ مَؤْثلًا . وَعَاضَ ضَيَاءُ العَينِ للعِلمِ رَافِداً * لِقلبِ إذا مَا ضَيّع الناسُ حُصّلا . (4)

وكيف نفسر مارواه (الأصمعي) من أنّه : " إذا أراد أن ينشد شعراً صفق بيديه وبصق عن يمينه وشماله "(5) ، ثم ينشد فيأتي بالعجب ، وما روي أنّ رجلٌ من أهل الكوفة مرّ على بشار وهو متبطح في دهليزه كأنّه جاموس ، فقال له : يا أبا معاذ ، من القائل :

فِي حُلَّتِي جِسْمُ فتى نَاحِلٍ * لَو هَبّتِ الربيحُ بِهِ طَاحَا . (6)

قال: أنا ، فقال: فما حملك على هذا الكذب ؟ والله إني لأرى أن لو بعث الله الرياح التي أهلك بها الأمم الخالية ما حركتك من موضعك! فقال بشَّار: من أين أنت ؟ قال: من أهل الكوفة ، فقال بشَّار: ياأهل الكوفة لاتدعون تِقلكم ومقتكم على كل حال. (7)

¹⁻ ينظر : الأصفهاني أبي الفرج : الأغاني ، ج3 ، ص 142 .

^{. 335 – 334} من برد بشار : الديوان ، ج1 ، ص

^{. 142} منظر : الأصفهاني أبي الفرج : الأغاني ، ج3 ، ص3

⁴⁻ ابن برد بشار : الديوان ، ج4 ، ص 136 .

⁵⁻ ينظر : الأصفهاني أبي الفرج : الأغاني ، ج3 ، ص 141 .

⁶⁻ ابن برد بشار : الديوان ، ج2 ، ص 113 .

[.] 215 ص 3 ، ينظر : الأصفهاني أبي الفرج : الأغاني ، ج

ويذهب به هذا الإعتداد مذهبا بعيداً فيصيبه في معتقده فيدعي في بعض شعره أنه أحسن من فلج يوم القيامة ، وهذا ما روي عنه حيث أتى رجل لبشّار فقال له : كنا أمس في عرس فكان أول صوت غنى به المغني هو :

هُوى صَاحبِي رِيحُ الشِّمال إذَا جَرتْ * وأَشْفَي لِنفسِي أَن تَهُبَّ جَنُبُ .

ومَا ذَاك إلاَّ أَنّها حينَ تَنتهِي * تَنَاهَى وفِيهَا مِنْ عُبيدةَ طِيبُ .

فطرب وقال : هذا والله أحسن من فُلج يوم القيامة .

(2)

والقارئ أيضا لديوانه فسيلاحظ كيف يكثر في غزله ومدائحه اهتمامه بنفسه وحديثه عن مفاخره ، فمن ذاك يخاطب محبوبته فيقول:

فَ لَا تُمُسِكِينِي بِالْهَوانِ فَإِنِّنِي * عنِ الْهُونِ طَعَّانُ لَقَصِدِ الْمُلَّكِ.

حَبَستُ عَليك النَّفسَ حولينِ لاَ أَرَى * نَـوالاً ولاَ وعنداً بنيل مُعَقّب.

وَمَا كُنتُ لُو شَمَّرتُ أَوّلَ ظَاعِنِ * بِرَحْلَى عَنْ جَدْبٍ إِلَى غَيْر مُجْدِبِ.

وَلكِنَّني أُغْضِي جُفُونًا علَى القَذَا * وأَحْفظُ مَا حَمَّلتني في المعَيَّبِ. (3)

لهذا يتبن لنا أن (بشار بن برد) أكثّر من إفتخاره بنفسه ، لأنه كان يحس بنقصه وما خلفته عاهة العمى في نفسيته ، فحاول أن يعوض عن هذا النقص بالإنتقاص من قيمة الأخرين .

¹⁻¹ ابن برد بشار : الديوان ، ج1 ، ص 206

²¹⁵ . 3 ينظر : الأصفهاني أبي الفرج : الأغاني ، ج3 ، ص

³⁻ ابن برد بشار : الديوان ، ج1 ، ص 197 .

الفصــل الثاني:

الصُّورة عند (بشَّار بن بُرد) :

أولاً: الحواس التعويضية:

1. الحاسة السمعيّة.

2. الحاسة اللمسية.

3. الحاسة الشميّة.

4. الحاسة الذوقية.

ثانياً: الصُّورة البصرية المُتخيلة:

1. صُورة اللون.

2. صُورة المعارك والجيوش.

3. صُور مختلفة .

الفصل الثاني : الصُّورة عند (بشَّار بن بُرد) :

الغاية من الصُّورة هو عرض الحقائق المعروفة والواقع المألوف في صورة حسيّة بنمط روحي لأنها نتجت عن تفاعل التجربة الإنسانية عند الشاعر ، فكانت مولوده الحسي الذي فيه بقاء شخصه وفيه ذاته وهي استمرار لحياته ، لأن الصُّورة مرت من خلال وسط نابض بالحياة يموج بالشعور والخواطر، والإحساس من أقوى أنواع الخيال في الصورة فهو يزيدها حيوية وخلودا ، وملكة التشخيص عنده تستمد قدرتها من سعة الشعور ، وصور التشخيص إنسانية من أقوى أنواع الحياة في الصلب الجامد ويوجد الرموز للمحسَّات ، ويجسم الأفكار التي تتخايل من وراء الصُّور ، وتقوم الحيوية فيه مقام البرهان العقلي والدليل الوجداني الناطق الذي لايعرفه إلاّ الشعور. (1)

ف" التشخيص والتجسيم والتخييل من وسائل التصوير في الشعر . فتجسيم المعاني يتم عن طريق تحويل المعنوي إلى مادي أو تعريفه به ، ويتجلى ذلك في لجوء الشاعر إلى تجسيم بعض المعاني والمشاعر وإلباسها ثوبا حياً . ثم تجاوز ذلك أحياناً على تشخيصها في هيئات و أوضاع إنسانية تضفي على الصُّورة بعض الظلال كما تمنحها حيوية وحركة وتجسيد المعاني وتشخيصها لا يرد على نمط واحد ، فهو تارة بسيط يعتمد فيه الشاعر على الوصف المباشر أو العلاقات المجازية من تشبيه حذفت أداته ثم أضيف فيه المشبه إلى المشبه به أو استعارة تخييلية وهي تعابير جزئية بسيطة "(2). والصورة التي تقوم على التحسيم " يظهر دورها في وصف أعماق الشاعر وما ينطبق في نفسه من انفعالات مختلفة وتقديم ذلك في قوالب بيانية " .(3) وإذا تحدثنا عن التشخيص فنرى أنه إبداع تندرج تحته مكونات الكون من أحسام ومعان فتصبح كائنات حية ، تشعر وتمشي ، تفرح وتحزن ، وقد تجلى الفن في التشخيص في كونه يخلق الأشكال لمعاني الجرد ، كي تقوم بعملها الوظيفي ، في التحرك

¹⁻ ينظر: ناصف مصطفى: الصورة الأدبية ، مكتبة مصر ، القاهرة - مصر ، (د ط) ، 1958 ، ص 126.

²⁻ البستاني صبحى : الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ، دار الفكر اللبناني ، بيروت .- لبنان ، ط1 ، 1986 ، ص144 .

³⁻ فتوح محمد : الرمز والرمزية ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، ط1 ، (د ت) ، ص 251 .

والتنفس ، حتى يظهر واضحا جليا للعين بعد نقله من العقل إلى الإحساس ، وعما يعلم المعلوم يجعلها أكثر وضوحاً من ذي قبل . (1)

وسنتناول في هذا الفصل الحواس التعويضية والتي عوض بما (بشار بن برد) في شعره إذ من المتوقع أنّ الكفيف والمبصر فيها سواء ، وإن استعاض بما الأول . إلى حد ما . عن فقده لحاسة البصر، محاولين كذلك إلى التطرق إلى الصور البصرية المتحيلة ، والتي يمكن أن يكون فيها فاق المبصرين .

أولاً: الحاسة التعويضية:

التعويض هو من أفضل الحيل الدفاعية كلها في حل المشكلات والإنقاص من حدة التوتر⁽²⁾، والكفيف يعوض عن فقد حاسة الإبصار بالإعتماد على حاسة السمع تارة ، وعن طريق حاسة الشم أو السمع تارة أحرى ، فمن المعلوم أنّ الكفيف يميل بصفة طبيعية إلى الإهتمام بالحديث ، فعن طريق حاسة السمع ، يمكن له أن يتعلم كيف يزن شخصية فرد أمامه ، وعن طريق تجارب واسعة يمكنه التمييز بين الأصوات ، حتى أنه يمكن أن يميز بين أنواع الطيور بمجرد سماع صوت مرور الريح خلال أوراقها كما يمكنه التلذذ بسماع الموسيقى⁽³⁾ ، لأن الشعور بالقصور يدفع الإنسان منذ نعومة أظافره إلى البحث عما يضمن له ما يخفف من هذا الشعور ، فمن الحقائق المدروسة أن أعضاء البدن الأساسية للحياة تزيد في النمو ، وتجيد أداء وظائفها إذا أصيب جزء منها ، أو جانب من الأعضاء الأخرى التي تتصل بما القصور ، وقد يؤدي إلى أن يغالي في التعويض ، ليؤكد تفوقه ، وإبداعه في الميدان الذي

²⁻ ينظر : فهمي مصطفى : مجالات علم النفس ، دار المعارف للطباعة ، القاهرة - مصر ، (د ط) ، (د ت) ، ص 83 .

³⁻ ينظر : مختار حمزة : سيكولوجية المرضى وذوي العاهات ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، (د ط) ، 1956 ، ص 113 .

⁴⁻ ينظر : رمزي إسحاق : علم النفس التربوي ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، (د ط) ، (د ت) ، ص 83 .

أثبت ضعفه فيه ، وقلة استعداده له (1) ، ذلك لأنّ الكفيف يستغل حواسه بطريقة أفضل وأوقع لأنّ كف البصر يتطلب تسخيراً أكبر للحواس الأخرى ، فيركز اهتمامه وعنايته لإلتقاط وتفهم المعلومات غير البصرية (2) ، وبشار بن برد واحد من الذين غالوا في التعويض ليؤكد تفوقه وإبداعه.

ومن الملاحظ أن الصورة الحسيّة تترك أثرها في المتلقي فتولد فيه المشاعر والإحساسات المختلفة فعندما نشّبه الشيئ بالشيئ نقصد إلى إثبات الخيال في النفس⁽³⁾. وطبيعة الصورة المثبتة في المشبه به هي التي: " تحدد ميولنا تجاه المشبه وذلك لأنها تمثله أمامنا ، ودور التشبيه ينحصر في إخراج المشبه وتجسده " . (4)

والمكونات الحسيّة في الشعر عامة وشعر العميان خاصة عنصر ضروري في القصيدة ، وقدرة الشاعر في أنه وجد شيئا من العدم ، ولكن قدرته في أنه استطاع أن يكوّن صورة من أشتات وأن يحضر الصلة المؤلّفة على ذهنه احضاراً واضحاً .(5)

وبما أن الحس أساس المعرفة ، حيث تعتبر المدركات الحسية المادة المكونة للإبداع ، لذلك تساهم العناصر الحسية في تشكيل الصورة عند أي شاعر وتعتبر قاعدة الانطلاق الأساسية . وتتجلى التجربة في مظهر حسيّ ، كما أنّ : " العلم الأول أتى النفس أولا عن طريق الحواس والطباع ، ثم من جهة النظر والرؤية . فهو إذا أمسّ بها رحما وأقوى لديها ذمما ، وأقدم لها صحبة وآكد عندها حرمة ".(6)

ويمكن القول إنّ المدركات الحسية من بصرية وسمعية وشمية وذوقية ترى وكأنها واحدة أمام الجميع إلا أنّ تصوير هذه المدركات يرجع بالأساس إلى مدى تفاعل التخيل من شاعر إلى آخر، ويرتبط بالإيجاء الشعوري الذي يفهمه كلّ حسب ما يراه ويحسه .

¹⁻ ينظر: فهمي مصطفى: مجالات علم النفس، ص 111.

²⁻ ينظر: مختار حمزة: سيكولوجية المرضى وذوي العاهات، ص 112.

³⁻ ينظر : الجرجاني عبد القاهر : أسرار البلاغة ، ص 152 .

⁴⁻ البستاني صبحى :الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ، ص144 .

⁵⁻ ينظر : مصاورة نادر : شعر العميان ، ص 223 .

⁶⁻ ينظر: الجرجاني عبد القادر: أسرار البلاغة، ص 109.

1. الحاسة السمعيّة: حاسة السمع هي عماد كلّ نمو عقلي وأساس كلّ ثقافة ذهنية. ويرى (إبراهيم أنيس): "أن حاسة السمع اكثر أهمية من حاسة البصر، فهي تستغل ليلا ونهارا في الظلام والنور، في حين أن المرئيات لا يمكن إدراكها إلاّ في النور "(1). فالسمع هو عماد الكفيف في صلاته الاجتماعية فعن طريقه يرقب تصرفات الناس من حوله، وانفعالاتم الصوتية فيكتسب بفعل اليقظة مهارات كثيرة في معرفة حالة المتحدث النفسية، وتقدير نوعية العواطف ودرجاتما(2). أو تقدير المسافات ويعتمد هذا التقدير على رجع الصوت وهو المقياس المعتمد لحاسة السمع.

فحاسة السمع هي الحاسة الأولى التي أحلها العميان محل البصر ، فضلا على قدرتما في الإدراك الجمالي أكثر من الحواس الأخرى ، لازدواجية الوظيفة التي تقوم بها ، إذ يقرر علماء وظائف الأعضاء أن " الحاسة البصرية باب الإدراك وأوتار السمع مزدوجة الوظيفة ، فكلما تنقل المسموع تفرز مابين المسموعات من الفروق الجمالية الدقيقة ، وتستطيع بهذا الفرز أن تكون سببا في تكوين العاطفة "(ق) ولهذا يركز الشاعر الأعمى على الصوت تركيزا كبيرا ، فظلاً لم الذي يعبر عنه بالصوت يؤثر فينا على وجه العموم تأثيرا روحيا أبلغ من أمره إلا جملة من الكلمات المختارة يقصد بها الشاعر أن يهزّ الأذن هزا أقوى .

ويلجأ الشاعر الأعمى إلى بعث كل الطاقات المدخرة في حواسه الأخرى بالشكل الذي يعوضه خسارته في البصر ، وحين يرفض هذا الأخير الإعتراف بالعين في تغذية الباطن بصور الأشياء (4) ، فإنما يعزز هذا الرفض بإبراز عمل الوسائط الأخرى في عمله .

وقد تمكن الشاعر الأعمى على بناء الصورة السمعية ، ليعوض عن الصورة البصرية الأصل فيبرز جمال الأصوات ، وقيمة المسموعات ، بعد أن سعى لبناء تأسيس نظري حاول فيه إقناعنا

[.] 160 م 1950 ، 4 مصر، ط 4 ، 1950 ، مكتبة النهضة مصر ، القاهرة - مصر، ط 4 ، 1950 ، ص

²⁻ عدنان عبيد العلى: شعر المكفوفين في العصر العباسي ، عمان .- الأردن ، (د ط) ، 1999 ، ص 32 .

³⁻ المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

⁴⁻كمال على : النفس والجنس ، الدار العربية ، نشر دار واسط ، بغداد - العراق ، (د ط) ، 1983 ، ص 99 .

بمساواة السمع والبصر (1) . وقد أدرك أهمية حاسة السمع بالنسبة له ، وعبّر عن ذلك ، محاولا تجاوز عاهته البصرية .

كما سنرى ذلك عند (بشار) في أبيات كثيرة كقوله:

بُلِّغْت عَنهَا شَكْلاً فَأَعجَبَني * والسَمعُ يُكفِيكَ غِيبةَ البَصرِ. (2)

فقلما ارتفع في أوصافه عن الحس والسمع ، لأنه يردد أنّ الخيط الذي يربط العين بالجمال وتذوقه لم يقل قوة عن الخيط نفسه الذي يربط السمع بنداء العقل . وفي قصيدته التي وصف فيها مغنية سمعها تطرق الدفّ انسابت تلك الألحان إلى أذنيه ، فبدت كالبدر في صورة رائعة ، فيقول:

وذَاتُ دلِّ كَأنَّ البَدرَ صُورَهَا * قَامت تُغني عَميدَ القَلبِ سَكرانَا.

يَاقُومُ أُذُنِي لَبَعضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ * وَالْأَذَنُ تَعَشَقُ قَبَلَ الْعَينِ أَحِيَانًا .

فقلتُ أحسنتِ أنتِ الشَّمسُ طالعةٌ * أَضْرِمتِ في القَلبِ والأَحشَاء نيرَانا.⁽³⁾

فيسألوه كيف يهدي عاشقا بما لايراه ؟ فيجيبهم الأذن مثل العين و السمع مثل البصر ، يمدان القلب بالعشق . وهنا يمزج الشاعر العشق بالسمع جاعلا السمع يأخذ وظيفة الرؤية ، ثم يقدم تبريرا واضحا في الأذن التي تعشق قبل العين . "فهو يستعير هنا مألوفة اجتماعية يقبل بها القارئ مبدئيا ولأجل أن يصير الشاعر في هذا البيت حالة صادقة أمام القارئ فإنه يلحق قوله أحيانا ليعطى استثناء يحقق به قبوله في ذهن قارئه "(4) .

ويصف الصورة السمعية الجميلة المؤثرة في النفس كأنها روضة:

وَحَـدِيثُ كَأَنّه قِطع الـرَو * ضِ زَهته الصَفراءُ والحَمراءُ. (⁵⁾

فحديثها يفتن الألباب ، كما تفتن العيون بمنظر الرياض وقد كستها أزهار النرجس وشقائق النعمان . وهذه الصورة جديدة لأنّ (بشار) هو أول من أجرى هذه الصورة بوصف حديث

¹⁻ ينظر : مصاورة نادر : شعر العُميان ، ص 227 .

²⁻ ينظر : الأصفهاني أبي الفرج : الأغاني ، ج3 ، ص 239 .

^{. 194} من برد بشار : الديوان ، ج4 ، ص3

⁴⁻ مصاورة نادر : شعر العُميان ، ص 229 .

¹⁴⁴ ، بن برد بشار : الديوان ، ج1 ، ص 144

المرأة بقطع الرياض متنوعة الأزهار والنوار ، وهي الصورة التي لم يصل إلييها الشاعر الجاهلي لأنّ إدراكه كان محصوراً في العلاقات المتشابحة أو المتجاورة أو القريبة من الحقيقة (1).

وقد يكون حديثها كزحرفة البرد ، فتتشكل منه أنغام شتى في نغم واحد ، كما يحتوي الوشي على نقوش كثيرة ، تكون رسماً واحداً ، ويظهر ذلك في قوله :

وَجَعَلسِ خَمسٍ قَدْ تَرَكْتُ لِجَبِّهَا * وَهُنَ كَنِهـرِ الرَوِضِ أَوْ لُؤلُؤ السَّردِ . يسَاقِطن للزيرِ المؤكّل بالصِبِّبَا * حَديثٌ كوشي البُرد يُغرين في الوَردِ . (2)

فهو يصور حديث محبوبته بالبرود وهو جمع بُرد وهو من الثياب الجميلة ، فهي فتاة منعمة ، تتأخر في نومها ، وحديثها كأنّه وشي البُرود ، بتعدد ألوانه وأشكاله ، وقد يكون اختيار (بشار) لهذه الصورة لتنوع صوت المحبوبة كتنوع الثوب متنوع الألوان ، إنّ هذه الترجمة للصوت هي نفسية ، وهذا ما يدعنا نتأثر بالصورة . والصورة السمعية ذاتها نجدها في قوله :

وَبَيضَاءٌ مِكسَالٌ كَأَنَّ حَديثهَا * إذَا ألقيت مِنهَا العُيونَ بُرودُ . (3) وصورة وشي البُرود لم تقتصر على حديث النساء ، بل تعداه إلى حديث الثناء على المدوح فيقول :

فَتَبَادَرُوا طُرِفَ الثَنَاءِ بِفَضْلَهِ * فَكَأَنَمَّا نَشَرُوا الثَنَاءَ بُرُودًا .(4)

فالصورة السمعية هنا تصور الناس الذين يمدحون الأمير ويتحدثون بأحاديث متنوعة ، وكأنهم يصنعون بُرودا من المدح ينثرونها على الأمير فيه صورة غاية في الجمال ، حيث لم يصور الأمير بالتشبيهات المكررة كالبحر والسحاب وغيرها ، إنّما وصف الناس وهم يثنون على فضله بأحاديث مزخرفة فيها إشارة إلى محاسن الأمير وعطاياه النبيلة .

17

^{1–} ينظر : هدارة مصطفى : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، (د ط) ، 1963 ، ص 567 .

²⁻ ابن برد بشار : الديوان ، ج3 ، ص 99 .

^{. 120} ص 2 المصدر نفسه ، ج

⁴⁻ المصدر نفسه ، ج2 ، ص 235 .

وصورة أثر حديث حبيبته ينزل الدموع من عينيه استجابة لقولها الجميل ، ويسلب حديثها النوم من العيون وكأنّ حديث سحر هاروت في جاذبيته ، قائلاً :

نَطَقَتْ فَأَنْطِقَ مَا سَمِعّتُ مَدَامِعِي * عَنْ كُلِّ نَاطِقَةٍ تَقُولُ سَدَادَا.

وَكَأَنَّ مَا سَمِعَتْ لَهُ بِحَدِيثِ هَا * هَارُوتُ يَسْلُبُ مُقْلَتيهِ رُقَادَا.

وَأَقَام يُشْفِقُ أَنْ يُجِنَّ صِبَابَةٌ * وَيَخَافُ مَوْتَةَ قَلْبِه إِنْ عَادَا.

فجعل حديث محبوبته ينطق الدمع فأعطى الدمع صفة كلامية ، فالشاعر يعتمد كثيراً على الصوت ويعتبره مدخلاً لفهم الحياة وحقيقة الأشياء .(2)

ويهيج صوت الحمام شوق (بشار) ، لأنّه يذّكره بمحبوبته الذي يجلب له التعب : طَرِبَ الحَمامُ فَهاجَ لِي طَرِبَا * وبمَا يَكُونُ تَذكري نَصِبَا . (3)

ويعطي أيضا صورة جديدة لرحيل الأحبة وبقاء الأطلال بحيث يصور الحمام الباقي في الديار الأحبة في وصف الشعراء القدامي بقاء البوم والغراب في تلك الديار بعد رحيل الأحبة فنجده يقول:

لأَغَرْوَ إِلاَّ حَمَامٌ فِي مَسَاكِنِهِمْ * تَدْعُوا هَدِيْلاً فيَسْتغْرِي بِه الطَّرَبُ . (4) يرحلوا إلا يريد بذلك أنّ لاعجب في تلك الديار إلا بقاء الحمام الذي يترنم بها ، وكأنهم لم يرحلوا إلا منذ زمن قصير .

أمّا الصوت الذي تصدرة الناقة فهو عنده صوت غريب كأنّه الغناء الطويل ، صوت مختلف ليس مصدره الإنس ولا الجنّ ، غنّه الصدى من ذلك الهاتف الذي ليس له أب ولا أمّ ، فيقول :

لهَا هَاتِفٌ يَحْكَى غِناءً عَــشَنَّقاً * سَمِيعاً بَمَا أَدَّى لَهُ الصَّوتُ مُعْرِبُ .

فَغَنَّت غِناءً عَيْنُهُ ولسَــانُهُ * قريبُ مَصَارِ الصَّوْت ليْس يُتقَّبُ.

¹⁻ ابن برد بشار ، ج2 ، ص 124 .

²⁻ ينظر : نافع عبد الفتاح : الصورة في شعر بشار ، ص 179 .

⁻³ ابن برد بشار : الديوان ، ج1 ، ص 2

⁴⁻ المصدر نفسه ، ج1 ، ص 255.

هُو الخَنْف لاَ إنسٌ ولاَ نَحْلُ جِنَّةٍ * يَعيشُ ولاَ يَعْذُوهُ أُمٌّ ولاَ أَبُ .(1) أمّا صوت القوس عنده وهي تطلق السهام فقد شبهها بأنين المريض ، ورنين الثكلي بما يشبه الصدى وذلك في قوله:

> أَحُو صِيغةِ زُرْقِ وصفْراءَ سمْحةِ * يُجاذبُهَا مُسْتحْصِدٌ وتُجاذبُهْ. إِذَا رِزِمتْ أَنَّتْ وأَنَّ لَمَا الصَّدَى * أَنينُ المِريضِ للْمَريضِ يُجَاوِبُهُ . (2)

إذا وجدنا أنّ : " الإحساسات السمعية أشبه ماتكون بالإحساسات البصرية من حيث قيمتها الثقافية والعقلية . غير أنّ البصر مادي في إدراكاته . أمّا السمع فإنّ صلته الرموز العقلية التي تتمثل بالتعبير اللغوي إلى جانب صلته بأصوات الحياة الطبيعية ، والسمع يشبه البصر بما يحيط بالمرء من مدركات ومناهل حيوية ولهما ارتباط أوضح بهذه المدركات من الحواس الأخرى وفيهما وفي حاسة الشم أيضا ميزة إدراك الشيئ عن بعد والتهئي له بالتبصر والسبق الفكري في مواجهة الحالة الطارئة".⁽³⁾

لذا نقول إنّ حاسة السمع عند الشعراء العميان وخاصة (بشار بن برد) ، لها المكانة الأولى بعد الحاسة البصرية ، وهي تبقى أساس الصور حتى في شعر العميان ، وعلى الرغم من أهميتها فإنمّا لم تأخذ الحيز الكافي لدى تلك الفئة من الشعراء .

2. الحاسة الشميّة: إنّ حاسة الشم لها الدور الفعّال في معونة الأعمى على: " تفهم حقائق ما حوله ، وهي في حاجة إلى مزيد من المران والتدريب لتكون يقظة في تمييز جميع الروائح على اختلاف أنواعها وقوتها ومعرفة شتى مصادرها "(4). فعن طريق هذه الحاسة يستطيع الأعمى أن يميز بين مختلف أنواع الطعام والشراب ويميز أنواع النباتات والحيوانات ، ثم إنّ

¹⁻ ابن برد بشار: الديوان، ج1، ص 318-331

²⁻ المصدر نفسه ، ج1 ، ص332 .

³⁻ السقطى رسمية : أثر كف البصر على الصورة عند المعري ، ص 185 .

^{4 -} ينظر : المرجع نفسه ، ص 51 .

هناك روائح مميزة كرائحة الأرض بعد المطر ، ورائحة الكحول ، ورائحة الأزهار ، بل إنّ الأعمى يستطيع أن يميز بعض الأفراد من روائحهم الطبيعية أو من العطر الذي اعتادوا التعطر به $^{(1)}$.

ونستطيع أن نقدر مدى أثر حاسة الشمّ في حياة الأعمى من قول الكاتبة الكفيفة ، الصماء والبكماء (هيلين كيلر): "إنني أعرف عن طريق الروائح نوع البيت الذي أدخله ، وعرفت مرة أن المنزل الذي دخلته منزل ريفي قديم لأنني شممت فيه طبقات من الروائح تركتها أسرات مختلفة سكنت فيه من قبل ، ...) (2)

ويقف (بشار) في مقدمة الشعراء العميان الذين أكثروا من الصور الشمية وذلك بوصف الروائح الطيبة ، والعطور الفوّاحة ، فنجده يقول :

وَتَخَالُ مَا جَمَعَتْ عَلِيهِ * ثِيائِماً ذَهَباً وَعِطَرَا. (3)

فتحسب جسدها ذهباً في بريقه ولونه المائل إلى الصفرة ، وشفافيتها ، وعذوبتها عذوبة الماء الزلال .

ويشخص أيضاً الروائح جاعلاً منها واشياً يكشف المحبين:

لْمُ أَنْسَ مَا قَالَ ـ تُ وأَتْرِهُا * فِي مَعْرِكُ ينْظِمنِ مِسْبَاحًا .

أُقَلِل مِن الطِّيبِ إِذَا زُرْتِنا * إِنِّي أَخَافُ المِسْكَ إِنْ فَاحَا .

لا تتركنا غَرضاً لِلْعِلِدى * إِنْ كُنْت لِلأَهْوالِ سِبَّاحا .

لَمْ أَدْرِ أَنَّ المَسْكَ وَاشْ بِنَا * إِنْ جَازَ بابَ الدَّارِ مِسْباحًا .

فَسمّحتْ أُخْرَى وَقَالتْ لَهَا: * لاَ تَحْرِمَا مَاكَانَ إصْلاَحَا.

لاَ بُدَّ مِن طِيبٍ لمُعْتَادِهِ * يغْذُو بِهِ نَفْساً وأَرْواحَا. (4)

^{1 -} السقطي رسمية : أثر كف البصر على الصورة عند المعري ، ص 52 .

^{2 -} عبد الجحيد عبد العزيز : معجزة التربية عند هيلين كيلر ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، (د ط) ، (د ت) ، ص 48 .

[.] 56 - 190 , 4 - 190 , 4 - 190 , 4 - 190 , 4 - 190

^{. 113} -2, -4

يصف هنا مجموعة من الفتيات كنّ في سمر ولهو ، إذ يدور حوار بينه وبين محبوبته الجالسة بينهن ، فيلبس الشاعر الثياب الجميلة وقد عطّر نفسه بالمسك فانتشرت الرائحة الفوّاحة حتى ملأت المكان ، فتخاف محبوبته أن ينكشف أمرها بسبب هذه الرائحة الفوّاحة ، فتدعوه أن لايكثر من هذا المسك حتى لاتكون عرضة للأقاويل ، فيرد الشاعر عليها مدافعاً عن نفسه أنه لم يعرف بأنّ رائحة المسك من الممكن أن تشي بالمجبين وتفضح أمرهم ، ولو عرف ذلك لما أقدم على فعله ، فتتدخل فتاة أخرى قائلة أنّ الشاعر لم يأت بصورة قبيحة بل جاء بأحسن هيئة فهو معتاد على التطيب ولم يعد بمقدوره أن يترك مثل هذه العادة ، فالطيب يجلب المتعة إلى النفوس وينعش الروح .

ويرى في صورة أخرى أنّ جسد المرأة السوداء بأخّا كالماء العذب في لينها ومذاقها ، كأخّا مصنوعة من عجينة العنبر والمسك اللذين إذا مزجا يصبح المزيج ضاربا إلى السواد ، وذا رائحة طيبة :

وَغَادَةٍ سَوْدَاء بَرَّاقَةٍ * كَالْمَاءِ فِي طِيبٍ وَفِي لِينٍ .

كَأَهُا صِيغَتْ لَمِنْ نَالَهَا * مِنْ عَنبِرِ بِالمِسْكِ مَعْجُونِ . (1)

والمرأة ما هي إلاّ مجموعة من الروائح الزكية من المسك والعنبر ، إذ يقول :

فَمَنْ يُنْصِفُنِي مِنْهُ * عَلَى مَابِي لَهُ مُلِّي.

مِنَ اللُّؤْلُو واليَاقُو * تِ أَوْ مِنْ عَنْبَرِ الهِنْدِ .

فَلَوْ بِتَ نَا بِه لَيْلاً * مَعَ الأَسْفَاطِ والوَرْدِ.

قَضَيْنَا حَاجَةَ النَّفْسِ * وَلَمْ نُصْبِحٍ عَلَى وَجْدِ . (2)

ويتخذ من الروائح وسيلة لتصوير رثائه لولده ، فيقول :

وَكَانَ كَرَيْحَانِ العَرُوسِ بَقَاؤُهُ * ذَوَى بَعْدَ إِشْرَاقِ الغُصُونِ وَطِيبُ . (3)

^{. 199} بن برد بشار : الديوان ، ج4 ، ص 4 .

^{. 127} ما المصدر نفسه ،ج3 ، ص2

^{. 279} ما ج1، ص= 3

فقد ذبلت وانحنت أغصانه بعد أن كانت خضراء باسقة .

ويذهب في تصويره إلى أبعد من هذا فيشخص المسك ويجعله والمرأة متشابحين لا يمكن التفريق بينهما ، فلونهما واحد وطينتهما واحدة ، فنراه يقول :

أَشْبَهَاكِ المِسْكُ وَأَشْبَهْتِه * قَائِمَةً فِي لَونِه قَاعِدَه.

لاَ شَكَّ إِذْ لَوْنُكُمَا وَاحِدٌ * إِنَّكُمَا مِنْ طِينةٍ وَاحَدَه . (1)

ويصور محبوبته بالروض التي تشع بالضياء ، وهي في ذات الوقت تعبق بالزهر ، فهي ذات منظر جميل ، ورائحة طيبة ، فيقول :

كَأَنَّهَا رَوضَةٌ مُنوّرَة * تَحْمَع طِيباً وَمَنْظَراً حَسَناً. (2)

وهذا الاهتمام بالروائح الزكية المشمومة ، يجعله يصف نعل محبوبته بالرائحة الطيبة العطرة : إذا وضعت في مجلسِ القوم نعلها * تضوّع مسكاً ما أصابت وعنبرا . (3) وفي مدحٍ لنظافة (المهدي) يعطي شاعرنا في بداية الأمر صورة منفرة ، فيجعل من رائحة نعليه وسيلة لذلك :

وَمَلِكٌ تَسْجُدُ المِلُوكُ لَــهُ * مُوفٍ عَلَى النَّاسِ يَرْزُقُ العَرَبَا.

تُشَمُّ نَعْلَاهُ فِي النَّديِّ كَـمَا * شَمَّ النَّدُامَى الرَّيحَانَ مُعْتَقَبَا.

سَاوَرْتُ مِنْ دُونِهِ العَقَنْقَلَ وال * جَوْفَ أُرْجِّي المُهْرِيَّة النُّجُبَا. (4)

وقد استعمل الشاعر هنا الرجلان لأنهما الأسرع من بين الأعضاء في إفراز الرائحة حتى يؤدي هذا التشبيه إلى المبالغة في تصوير نظافة الممدوح .

وقد رأينا أنّ الصورة الشمية عند العميان تشارك في معظم الأغراض الشعرية ، ولكن دون أن تدل على ابتكار في المعاني أو تنوع في الصور ، أو مهارة في إبراز الفكرة . في ذاك النحو من

² _ المصدر نفسه ، ج4 ، ص 223 .

³ _ المصدر نفسه ، ج2 ، ص 394 .

[.] 344-343 , $_{\rm }$, $_{\rm }$, $_{\rm }$, $_{\rm }$

التصوير الذي يعمد فيه المبدع الأعمى على ذكائه ومهارته في ربط أطراف صوره لايكون تصويرا شاعريا خصبا ، وإن تمثلت فيه نواح بلاغية هامة ، وتلك الصور تمتعنا بدقة السبك أكثر مما تمتع بشاعريتها ، ومن المرجح أنّ المتلقي لم يكد يشعر بتجاوب الشعراء العميان الذاتية في هذه المدركات الحسية وأنّ أمثال تلك الصور قد تصدر عن فاقد لأية حاسة من الحواس . أو غير فاقد لأي منها .(1)

وعلى الجملة ليس من المهم أن يكون (بشار بن برد) قد ركز على طيب الرائحة أو قبح غيرها ، بل إنّ صلة تلك الروائح بالنفس ، وما تمثله بالنسبة إليه .

1. الحاسة اللمسيّة: تعتبر يد الأعمى ، وهي مصدر مهم يعتمد عليه في المعرفة في الكثير من نواحي حياته ، فمن خلالها تجتمع أدوات البحث والمعرفة والعمل . " فحاسة اللمس تشكل الإقتصاد العقلي للكفيف . والنجاح الذي يحرزه الذين ولدوا مكفوفين في التعلم ، وفي تقدير المسافات عمقاً وطولاً " . (2)

ولهذا نرى أنّ حاسة اللمس لها إحساسات كثيرة مختلفة يتمتع بها الأعمى كما يتمتع بها المبصر غير أنّ هذه الإحساسات تتعاون وتتأثر بحاسة البصر ممّا يجعلها عند الأعمى مشوبة بشيئ من الإضطراب كالإحساس الحركى بعدم بالتوازن .(3)

ولا بد لنا أن نتبه إلى أنّ هذه الحاسة محدودة العطاء . إذ : " إنّ التمييز واسطة اللمس لا يكون له أثر جدي إلاّ إذا كان هناك إتصال مباشر بين الأعمى والشيئ نفسه ، وهذا يحدد قيمة هذه الحالة ، فهناك أشياء صغيرة ودقيقة جداً يصعب لمسها كبعض الحشرات والأزهار وأشياء كبيرة جداً كذلك " . (4)

¹⁻ ينظر : رضا جهاد : التصوير الفني في شعر العميان حتى نحاية القرن الخامس الهجري ، رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه في الآداب ، بإشراف عصام قصبحي ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة دمشق- سوريا ، 1992 ، ص 97 .

²⁻ هكتور تشيفيني وسيدل بريفمان : تكيّف الكفيف ، تر: محمد عبد المنعم نور ، مطبعة البلاغ ، القاهرة - مصر ، (د ط) ، 1961 ، ص 200 .

^{. 49} منظر : السقطي رسمية : أثر كف البصر على الصورة عند المعري ، ص-3

^{4 -} حمزة مختار : سيكولوجية المرضى وذوي العاهات ، ص 124 .

فحاسة اللمس مهمة في إدراك الجمال ، بل إنّ الملمس : "يتيح لنا أن نشعر بإحساسات فنية من كل نوع حتى يستطيع أن ينوب مناب البصر إلى حدّ بعيد ، وإذا كانت حاسة اللمس بعيدة عن إدراك الألوان إلاّ أنّها تطلعنا على ناحية جمالية لا تستطيع العين وحدها أن تطلعنا عليها ما للنعومة والرخاصة والملامسة ، فجمال المخمل لا يقوم على لمعانه وحسب بل على نعومة ملمسه كذلك . وحين نحكم على امرأة بالجمال فلا شك أنّ مخملية بشرتها عنصر أساسي في الفكرة التي قامت في أذهاننا عن جمالها ، والألوان كلها تستمد بعض جمالها من اقترانها بملمس ناعم ، فبريق الشعر الأشقر والأسود مرتبط بالملمس الحريري الذي تحسه الأصابع وهي تداعب هذا الشعور "1".

ومن هنا فإنّ (بشار) يذهب في تصويره الحسي عن طريق اللمس إلى التفصيل ، فيحاول الإطاحة بدقائق الأشياء في وصف محبوبته (عبدة)* ، فيقول :

عَلِّلينِي يَا عَبْدَ أَتْتِ الشِّفَاءُ * واتْركِي مَا يَقُولُ لِي الأَعْدَاءُ.

فَحْمَةٌ فَعْ مَةٌ بَرُودُ التَّنَايَا * صَعْلَةُ الجِيدِ غَادَةٌ غَيدَاءُ .

أزَّرَتْ دِعْصَةٌ وَتمَّتْ عَسِيباً * مِثْلَ أَيْم الغَضَا دَعَاهُ الأَبَاءُ.

وَتَقَالُ الأَوْصَالِ سَرْبِلَها الحُسْ * نُ بِيَاضاً ، والرَّوْقة البيْضَاءُ .

زَاهَا مُسْ فِرْ وَتْغُرُ نَقِيٌّ * مِثْلُ دُرٌ النَّظام فِيهِ اسْتُواءُ .

وَقَوَامٌ يعْلُو القِـــوام ، ونحْرٌ * طَابَ رُمَّانُهُ عَـليْه الأَيَاءُ .

وَبِنَانٌ يَاوِيحَهُ مِنْ بِنَانٍ * كَنبَاتٍ سَقَاهُ جَمُّ رَواءُ .

وَلِمَا وَارِدُ الغَدَائِر كَالَكُرْ * مِ سَواداً قَدْ حَانَ مِنْهُ انتِهَاءُ .

كَانَ وُدِّي لَمَا حَبِياً فَأَسْرَعَ * تُ إليْهَا وَالْأَمْرِ فيهِ التِواءُ.

^{1 -} جويتو جان ماري : مسائل فلسفة الفن المعاصر ، تر: سامي الدروبي ، دار الفكر العربي ، القاهرة - مصر ، (د ط) ، 1958 ، ص

[.] 248 من بني مالك بن وهبان من باهلة ، ينظر : الأصفهاني أبي الفرج : الأغاني ، ج3 ، ص3

^{. 144–143–140 ،} ج1 ، الديوان ، ج1 ، 140–143 .

فقد نقل الوصف بأمانة دون نقص ، وكأنّه يشعر وهو ينشد أنّ الجميع غير مبصرين ومن ثم عليه أن يبصرهم ما يجهلون ، فهي المرأة المتثنية دلالاً وليناً ، ودقيقة العنق ، والقدّ الطويل ، وهي التي تمشي بسرعة كالحية البيضاء وهي تدخل أجمة القصب ، وممتلئة الأعضاء الجميلة والثغر الذي زاد من جمالها وتستوي فيه أسنانها اللؤلؤية ، وصدرها الذي فيه بروز جميل مضيئ كشعاع الشمس والأصابع الكثيرة النظارة ، فالنعومة والطرواة وصيف القوام ، وليونة البنان وانسدال الغدائر كعنب أسود كلها صفات جمالية تعتمد على الحاسة اللمسية ، التي تعتبر بالنسبة للأعمى ، من أهم سبل الإدراك الجمالي . (1) وهو في هذا النوع من التصوير إذا تحدث عن المرأة فإنه يتناول أعضاءها بالتفصيل لايكاد يترك عضواً ن فيصوره تصويرا واقعيا حسيا ويستعين على ذلك بما اطلع عليه من شعر الأقدمين أو المحدثين في وصفهم للمرأة .

وتزداد المبالغة عند (بشار) عندما يقول إنّ الملامسة لممدوحه ، تجعله ينقل إليه العدوى من أخلاقه الحسنة ، وكأنّ الحصول على صفة الكرم تعتمد على لمس هذا الممدوح⁽²⁾ . فيقول :

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ ابتَغَى الغِنَا * وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِى.

فَلاَ أَنَا مِنهُ مَا أَفَادَ ذُوو الغِنَا * أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَفْنيتُ مَا عِندِي. (3)

ويصف في صورة أخرى ألمه الداخلي ، عندما تمشي محبوبيته في خطها الذي انتهجته لنفسها بعد الوصل ، فيشعر وكأنّه يلمس الجمر الحار أو كأنه يلمس أو يمشي على أسنان مدببة كحد المنشار من كثر ما يعاني الهجر والصدود :

إِنِّي بَمَا احتَمَلَتْ عَيْنِي حَوَائِجَكُم * واسْتَحْلَتْ العَيْنُ مِنِّي دَمْعُهُا جَارِي.

أَهِيهُ مَمَّا بِقَلْبِي مِن صَبَابَتِهِ * وَبِالْمِدَامِعِ مِنْ شَوقِي وَتَذْكَارِي.

كَأْتُنِي بِكِ إِذْ تَمُ شِينَ رَاضِيَة * أَمْشِي عَلَى جَمْرَةٍ أَوْ حَدِّ مِنْشارٍ . (4)

^{1 -} مصاورة نادر : شعر العميان ، ص 256 .

^{2 -} رضا جهاد : التصوير الفني في شعر العميان حتى نماية القرن الخامس الهجري ، ص 89 .

^{3 -} ابن برد بشار : الديوان ، ج4 ، ص 44.

^{. 162} من 3 - المصدر نفسه 4

إنه يعتذر عن كثرة الدمع ، وإنمّا جرى من أجل ما احتملت العين من الحوائج ، وهو هائم بها تفشيه الصبابة والمدامع والشوق والحوائج كلها تذكرها ، وحين تمشي وهي في خطّها الذي انتهجته لنفسها بعد التوصل ، وهو يمشي على حدّ المنشار من كثرة مايعاني الهجر والصدود .

وهكذا وجدنا كيف أنّ حاسة اللمس عند الشاعر الأعمى تستطيع أن تحدد حجم الشيئ الملموس وطبيعته وماهيته ، ولكن هذه الحاسة على أهميتها بالنسبة إليه لم تستطع أن تعوّض إلا بعض الحرمان الذي يعانيه .

3. الحاسة الذوقية: حاسة التذوق فهي أيضا أكثر أهمية للشاعر الأعمى من البصر. وخصائص حاسة الذوق محدودة في الطعوم وقائمة على الإلتماس المباشر لها لمعرفة الجيد من الرديئ والحلو من الحامض، من المالح من المر وما إلى ذلك من إحساسات ذوقية دقيقة أحرى (1). وحاسة الذوق تشبه حاسة اللمس في اعتمادها على الإتصال المباشر ولهذا فإنهما يولدان عن طريق الإلتماس المباشر تأثيراً نفسياً أقوى ، وشعورا وجدانيا بالإنشراح أو الضيق أعمق من الحواس الأحرى ، غير أنّ ميزة حاستي السمع والشم أنهما يستقبلان المؤثرات الحسية عن بعد وفي غيبة الشيئ الذي تصدر عنه تلك المؤثرات فيتكيف المرء للموقف ويستعد سلوكياً للحالة الطارئة .(2)

وحاسة الذوق عند الشاعر الأعمى تغني الثروة الثقافية عنده ، إذ تضيف إلى مداركه وإحساسه مقدار ليس كبيراً من العالم المحيط حوله ، وذلك أنّ التعرف الذوقي إلى المحسوس يتطلب من الحاسة تماسا مباشراً ، وتجربة عملية ليتحقق له فهم المادة المذوقة .(3)

وقد كانت وسيلة التذوق عند (بشار) واضحة في تصوير رضاب الحبيبة وتغرها وريقها ، إذ يقول مثلا حين يتذكر لقاءه معها عند الغروب ، ورشفة رضابها :

فَلَسْتُ بِنَاسٍ مِنْ رُضَابِكِ مَشْرِبًا * وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَّارِ غُرُوبُ . (4)

^{1 -} ينظر: السقطي رسمية: أثر كف البصر على الصورة عند المعري، ص 53.

^{2 -} ينظر : المرجع نفسه ، ص 54 .

^{3 -} مصاورة نادر : شعر العميان ، ص 261 .

^{. 207} بين برد بشار : الديوان ، ج1 ، ص4

وريق ذلك الثغر الجميل الأغركأنّه شراب التفاح:

وَرُضَابِ ذِي أَشَر أَغَرَّ كَأَنَّا * غُبِقَتْ مَشَارِبُهُ مِنْ التُّفَّاحِ. (1)

وقد وجد في ريق المحبوبة علاقة مشابحة بينه وبين صنوف شتى كالعسل والزنجبيل ، فلعابحا كأنّ فيه عسلا يمازجه طعم الزنجبيل والخمر ، فيقول :

كَأَنَّ بِرِيقِهَا عَسَلاً جَنِياً * وَطَعْمَ الزَّبْحَبيلِ وَرِيحَ رَاحٍ .

وقد ربط هنا بين عنصريين حسيين ليقصد من خلالها الدلالة الحسيّة لها . فالعسل والزنجبيل وطعم التقّاح تلتقي جميعها في إثارة المتعة الذوقية مما دفع الشاعر أن يربط بينها وبين ربق محبوبته ليحقق من خلاله إيحاءً نفسيا يناسب لذة موقفه .

ويقول أيضا في تصوير طعم الريق ، إذا تسوكت محبوبته لأجل أن تعرّفه بطعم ريقها الذي يشبهه بطعم العسل بالخمر ، إذ يقول :

يَا أَطْيِبَ النَاسِ رِيقاً غَيرَ مُختبَرٍ * إِلاَّ شَهَادَةَ أَطْرَافِ المِسَاوِيكِ . (3)

وقد عدّ (القالي) هذا البيت أحسن ما قيل في الريق ⁽⁴⁾ . ولعّل الجمال فيها هو هذا الإحتراس في قوله (غير مختبر) إذ وصف الحبيبة والطهارة والعفة ⁽⁵⁾ .

وقد جعل أيضا تذوق الماء سبباً في حياة بني البشر ، إذ نراه يقول :

أَصَفْرَاءُ مَا أَنْسَى هَوَاكِ وَلاَ وُدِّي * وَلاَ مَا مَضَى بَينِي وَبَيْنكِ مِنْ وُكْدِ .

أَبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُفَرِيرُ بَيْننَا * وَكُنَّا كَمَاءِ المِزْنِ بِالعَسَلِ الشُّهدِ. (6)

فقد شاء الله أن يباعد بيننا ، بعد أن كان لقاؤنا كماء السحاب الممزوج بالعسل .

ويجعل للعطاء طعماً لذيذا حين يمدح (عقبة بن مسلم) :

^{1 -} المصدر نفسه ، ج2 ، ص 85 .

^{2 - 1} المصدر نفسه ، ج2 ، ص

^{3 -} المصدر نفسه ، ج4 ، ص 123 .

^{4 -} القالي أبو على القالي : الأمالي ، ج1 ، دار اللآفاق الجديدة ، بيروت - لبنان ، (د ط) ، 1980 ، ص 225 .

^{5 -} عدنان عبيد العلي : شعر المكفوفين في العصر العباسي ، ص 378 .

^{. 218} من برد بشار : الديوان ، ج2 ، ص 4 .

لَيْسَ يُعْطِيك للرَّجَاءِ وَلاَ الحَوَّ * فِ وَلَكَنْ يَلَذُّ طَعْمَ العَطَاءِ .(1)

فهو لا يعطى طعما في منفعة ولا خوفا من مضرة ، وإنّما يعطى لأنه يستعذب العطاء .

لا تكمن الأهمية في تقديم إحدى الحواس على الأخرى بقدر أهمية صلتها بالإنفعالات الإنسانية ، ويستطيع الباحث أن يتبين مظهرا هاماً في شعر العُميان هو أنّ صُّورهم ليست جامدة تثبت فيها الأوضاع ، بل هي صُّور متحركة يتحرك فيها كل شيئ .(2)

وما نقوله هنا أنّ حاسة الذوق آلية الفعل ، لا تقوم بعملها إلاّ عن طريق الإتصال المباشر بالأشياء .

58

^{2 -} ينظر : رضا جهاد : التصوير الفني في شعر العميان حتى نحاية القرن الخامس الهجري ، ص 104 .

ثانياً: الصُّورة البصرية المُتخيلة: الصُّور البصرية هي من أكثر الصُّور المستخدمة عند الشعراء قديما وحديثا ومنهم الشعراء العميان، ونجدهم يستخدمون لخلق صُّورهم البصرية المتخيلة ألفاظ الرؤية والمشاهدة والمعاينة، واللحظ وغيرها، كما يلجأون إلى تصوير الأشياء التي لا تدرك.

والشعر بما يقوم به من تخييل يمثل لمخيلة المتلقي مشاهد بصرية واضحة ، وأنّ أفضل الوصف ما قلب السمع بصراً ، وجعل المتلقى يدرك المشهد المنظور كأنّه يراه ويعانيه . (2)

وإذا كانت صُّور (بشّار بن برد) الحسيّة (التعويضية) قد تركت أثرها في الشعراء، فإنّ صُّوره الخيالية كانت أكثر تأثيراً وعمقا من صُّوره الحسيّة، ولا غرابة في ذلك فقد منح خيالاً عميقا، وبعداً في التفكير وقدرة على التأويل لم تتوفر لدى غيره من الشعراء، وكأنَّ فقد حاسة البصر قوى لديه ملكة التخيل ووجهه بالضرورة نحو الصُّور غير المنظورة، وخلق منه رجلا عجيب الظن على حد تعبيره. (3)

لهذا نرى بشّار استطاع بالرغم من عماه أن يقدم صوراً بصرية من مُخيلته ، أشار إليها النقاد بالمدح والذم ، ومن أمثلة هذه الصور البصرية المتخيلة ما كان في ذكره للون و تصويره للمعارك والجيوش وغيرها ، لهذا سنحاول التفصيل لهاته الصور .

1. الصُّورة اللونيّة: إنّ مسألة اللون عند الشاعر الأعمى أمرٌ يستحق النظر والتدقيق. فهذا المرء في ظلام دائم ولذا فهو في صراع مستمر مع النور بسبب هذا الظلام الذي فُرض عليه. وإذا كان الأمر كذلك فهل يستطيع تمييز الألوان ؟ وكيف ؟ . " إنّ تمييز اللون خاصية بصرية نتيجة لتأثير شبكية العين . وعلى ذلك فالمصابون بالعمى الكامل لايمكنهم تمييز اللون إطلاقا بالرغم من أنّ لديهم أفكاراً بديلة عن الألوان أو حتى حواسهم الأخرى ، وما يتذكرونه من محادثات شفوية أو إرتباطات إنفعالية "(4).

¹⁻ مصاورة نادر : شعر العميان ، ص 365 .

²⁻ ينظر : عصفور جابر أحمد : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، دار التنوير ، بيروت - لبنان ، ط2 ، 1983 ، ص 307 .

^{. 328} منظر : صالح نافع عبد الفتاح : الصورة في شعر بشار بن برد ، ص3

^{4 -} حمزة مختار : سيكولوجية المرضى وذوي العاهات ، ص 124 .

وحين نتحدث عن الألوان عند الشعراء العميان ، من الضروري التمييز بين شاعر كفّ بصره منذ الولادة ، أو قبل الخامسة قبل أن يعي الألوان وتبيانها ، وبين شاعر كفّ بصره في كبره لأنّ الأخير يعرف معانيها ويدركها بعد أن اختزن في ذاكرته أوصافها وطبيعتها ، ويستطيع أن يعطي مفاهيم بينة شأنه في ذلك شأن المبصرين . وأمّا الذي يكف بصره في حوالي الخامسة أو السادسة من عمره فهو " حتى إذا مأدركها يختلط عليه الأمر بعد كف البصر ومرور السنين ولا يدري إن كانت تلك الصور الضوئية المختلفة المتباينة التي لازالت تترآى له في بعض أحلامه هي التي نعنيها بكلمة اللون الأصفر ، الأخضر والأبيض (...) أم أنّها غير ذلك "(أ).

وقد لجأ كثير من الشعراء العميان إلى :" الإعتماد على اللون في تشكيل الصور الشعرية حتى عُرف ما يسمى بالصور اللونية ، لا بد أن يكون ذلك عائداً إلى طبيعة الموقف والرؤية والشعور والإحساس ، فليس اختيار لون محدد عملية خالية من ارتباط بالموقف والشعور وإنّما هي عملية مؤسسة على أنّ اختيار اللون داخل في إطار الرؤية التي ينطلق منها الشاعر "(2).

وكل مانقوله أنّ للأعمى:" استعداداً ذهنيا وحسياً في تنمية ملكة الخيال وتذكية الإدراك البصري قد يمكنه أن يصل في تصور المرئيات إلى مستوى مشاركة المبصرين في رسم الصور الفنية اللفظية للمرئيات المختلفة...وقد يحسن ذلك إلى حد الإبداع والتفوق"(3).

وسنحاول في هذا العنصر الوقوف عند الصور اللونية في شعر (بشار بن برد) ، حيث ربطنا دلالة اللون بالمرأة وذلك لإشتهاره بالغزل في معظم ديوانه وأنّه اهتم بالمرأة ومحاسنها وأيضا من أجل التدقيق ، ونراه استخدم الصور اللونية كغيرها من الصور التي كان مقلداً في أغلبها ، إلا أنه جدد في بعضها ، ولاحظنا أنّ حرمانه من حاسة البصر دفعه إلى استخدام حواسه لتنوب عما حُرم منه ، فهو في وصفه للمرأة يدقق في كثير من التفاصيل ، مركزاً على الصفات المادية ومستحضراً طاقات اللون ومادامت الحواس والقلب ومدركاتها هي الرافد الأساسي للصورة الفنية

^{1 -} السقطي رسمية : أثر كف البصر على الصورة عند المعري ، ص 119 .

^{2 -} ربابعة موسى : جمالية اللون في شعر زهير بن أبي سلمي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط 1 ، 1997 ، ص 1355 .

^{. 126} منظر : السقطي رسمية : أثر كف العَمي على الصورة عند المعري ، ص 3

فإن علينا أن نتوقع حضور اللون في عملية الأداء الفني ليؤدي مهمة المفردة الحسية حيثما يكون لها مدلولها التأثيري . (1)

وكان (بشّار بن بُرد) كغيره يحب المرأة ذات اللون الأبيض حباً جسدياً ، ظهر في أكثر من بيت في شعره ، فهي عنده : " بَيْضَاءٌ صَافِيَةُ الأَدِيْمِ "(2) ، وهي " بَيْضَاءُ كَالدُّرةِ الرَّهْرَاءِ مَن بيت في شعره ، فهي عنده : " بَيْضَاءٌ صَافِيَةُ الأَدِيْمِ "(5) ، وهي " بَيْضَاء "(6) ، " حَسِبْتَهَا فِصَّةٌ بَيْضَاء "(6) ، " حَسِبْتَهَا فِصَّةٌ بَيْضَاء "(6) ، " وهي على ذلك " تَرَعْرَعَتْ فِي جِلْدِ لُؤُلُوةٍ "(8) ، و "خُلِقَتْ مِنْ بيضٍ "(7) ، وهي على ذلك " تَرَعْرَعَتْ فِي جِلْدِ لُؤُلُوةٍ "(8) ، وهذا الوصف الجميل يشير إلى بياض ممزوج بالمرونة والنعومة والصفاء والعفة والحياة الهائئة ، وهي على هذا من الحرائر العفيفات . والمرأة الموصوفة -كما ذكرنا - عنده تجبر من يراها أن يتعلق بحا فهي : " بَيْضَاءَ كَالْمَهَاقِ "(10) ، وهذا تشبيه للمرأة في أجمل صورها ، فالمرأة المثل عند أغلب المبدعين أنها غزال في مشيتها وشكلها ، وهي " بَيْضَاءَ مِكْسَالٍ "(11) ، فالمرأة المثل المنت والمرأة عنده:

مِنَ الْبِيضِ لَمْ تَسْرَحِ عَلَى أَهْلِ غُنَّةٍ * وَقِيراً وَلَمْ تَرْفَعْ حِدَاجَ قُعُودِ . (13)

فهي من الحرائر، وليست من الإماء ، إذ إن الرعي وترحيل الرواحل كان من شغل الإماء والعبيد فالمرأة المفضّلة عنده إضافة على لونها أنمّا وأهلها من علية القوم .

^{1 –} ينظر : الجادر محمود : الأداء باللون في شعر زهير بن أبي سلمى ، مجلة كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ع2 ، 1990 ، ص 87 .

^{3 -} المصدر نفسه ، ج2 ، ص 223 .

⁴ - المصدر نفسه ، ج1 ، ص 151 .

^{5 -} المصدر نفسه ، ج3 ، ص 26 .

^{6 -} المصدر نفسه ، ج3 ، ص 168 .

^{7 –} المصدر نفسه ، ج3 ، ص 07 .

^{8 -} المصدر نفسه ، ج1 ، ص 193 .

^{9 -} المصدر نفسه ، ج1 ، ص 235 .

¹⁰⁻ المصدر نفسه ، ج2 ، ص 137 .

¹¹⁻ المصدر نفسه ، ج2 ، ص 120 .

¹²⁻ المصدر نفسه ، ج3 ، ص 237 .

¹³⁻ المصدر نفسه ، ج2 ، ص 118.

وأسقط الشاعر في بعض أشعاره لون آخر على لون المرأة المفضلة ، فهي " رِيمٌ أغّنُ " ترائبه شديدة البياض ، يقول :

رِيمٌ أَغَنُّ مُطَوقًا ذَهَبًا * صُفرُ الْحَشَا بِيضٌ تَرَائِبهُ .

وهي كالشمس إشراقاً وتجلياً ، وكالبدر حسناً إذا تقنّعت في سواد الليل ، تريح النفوس بنظراتها وهي منتقبة ، وإذا نزعت النقاب تستثيرهم بحسنها المتلألئ ، فنجده قائلاً :

هِي كَالشَّمسِ في الجَلاءِ وكَالبَدْ * رِ إِذَا قَنعت عَلَيْها الرِدَاء .(2)

وهي في مشيتها تتلوى كذكر الحية الأبيض ، نحيلة الخصر ، طويلة العنق ، يقول :

تَروحُ بمثلِ الأيّم فوقَ نِطَاقِهَا * ويَا لَكِ من وَجهٍ هُناَك وَجِيدُ . (3)

ولم يكتف (بشار) بالوصف الشمولي للمرأة ، بل دقق في التفاصيل فوصف جيدها وأعجب ببياضه ، فيقول :

وَجِيدٌ يُشبِهُ الدُّرَ * كَجيدِ الرِيمِ سَلْهُوبُ . (4)

وهي بيض الترائب ، ويعني موضع القلادة على الصدر ، فيقول :

ريمٌ أغن مطوقاً ذهباً * صِفْر الحَشَا بِيضٌ تَرائبُهُ . (5)

وتجاوز في تصويره للمرأة الجميلة إلى دقائق لا يعرفها ولا يدقق فيها إلا إنسان تذوق الجمال، وعرف بواطنه ، فكانت المرأة التي خالط بياض لونها صفرة ، ونشأت في الحضر من أجمل النساء عنده ، يقول :

وَصَفْرَاءٌ مِثْلُ الخَيْزُرَانَةِ لَمْ تَعِشْ * بِبُؤسٍ وَلَمْ تركَبْ مَطِيَّةَ رَاع . (6)

وعرج إلى اللون الأسود ، حيث نقله من دلالاته السلبية لأنّه يرمز إلى التشاؤم والموت والدمار (⁷) ، إلى دلالات إيجابية ، فأعجبته العيون الدعج الشديدة السواد الواسعة ، فهي " بَدا

[.] 248 , -1 , -1

^{2 -} المصدر نفسه ، ج1 ، ص 58 .

^{3 -} المصدر نفسه ، ج1 ، ص 509 .

^{4 -} المصدر نفسه ج1 ، ص 232 .

^{5 -} المصدر نفسه ج1، ص 243.

^{6 -} المصدر نفسه ، ج4 ، ص 98 .

⁷⁻ ينظر : نوفل حسن يوسف : الصورة الشعرية واستيحاء الألوان ، دراسة تحليلية إحصائية لشعر البارودي ونزار قباني وصلاح عبد الصبور ، عين شمس ، ط1 ، 1985 ، ص 125 .

فِي عَينِهِ دَعَجُ " (1)، وهي " حُورَ العُيُونِ "(2) . وتحلى الجانب الإيجابي للون الأسود بلون شعر المرأة الجميل فشبه شعرها بعناقيد الكروم الناضجة ، إذ قال :

وَلَهَا وَارِدُ الغَدَائِرِ كَالكَرْ * مِ سَوَاداً قَدْ حَانَ مِنْهُ انْتِهَاءُ . (3) وشبّه أيضا جدائل شعرها الأسود بالأفاعي السود :

كَأَنَّ القُرُونَ عَلَى مَتْنِهَا * أَسَاوِدُ شَتَّ بِهَا أَبْطَحُ . (4)

وكانت الشامة السوداء على الخد الأبيض إضافة أخرى إلى اللوحة ، فزاد الجمال جمالاً ، يقول:

يَكُونُ الْحَالُ فِي حَدٍ نَقِي * فَيكْسِبُه المِلاَحَةَ والْحَمَالاَ . وَيُونِقه لأَعْيُنِ مُبْصِرِيهِ * فَكَيفَ إِذَا رَأْيتَ اللَّونَ خَالاً . (5)

وفي صورة أخرى يجعل محبوبته سوداء اللون كأنمّا مصنوعة من عجينة العنبر والمسك إذا مزجا يصبح المزيج ضارباً إلى السواد وذا رائحة طيبة :

وَغَادَةٍ سَـوْدَاءٍ بَـرَّاقَةٍ * كَالمَاءِ فِي طِيبٍ وَفِي لِينٍ . كَالمَاءِ فِي طِيبٍ وَفِي لِينٍ . كَالمَاءُ عَنْبِرِ بالمِسْكِ مَعْجُونِ . (6)

لقد ارتبط السواد بالظلمة وبأجواء الحزن والكآبة ، إلا أنّ بشاراً نقل اللون من طبيعته السوداوية أحيانا إلى سياقات أخرى ، فيها معنى الحسن والجمال .

ويستخدم الشاعر اللون الأحمر في صفة المرأة ، فقد انطبع في نفسه مثلاً أنَّ اللون الأحمر لون حُسن وجمال (7) ، من باب العبث باللون ودقة معرفته به وكأنّه على دراية أنّ الضوء الأبيض يتكون من مجموعة من الأشعة الملونة ، تندرج من اللون الأحمر إلى اللون البنفسجي ، ولقد دلت التجربة على أنه يمكن إحداث الإحساس بأي من هذه الألوان أو اللون الأبيض بخلط ثلاثة ألوان

^{. 58} م $^{\circ}$ ابن رد : بشار : الديوان ، ج $^{\circ}$ ، ص

^{2 -} المصدر نفسه ، ج1 ، ص 165 .

^{3 -} المصدر نفسه ، ج1 ، ص 144 .

^{4 -} المصدر نفسه ، ج2 ، ص 80 .

^{5 -} المصدر نفسه ، ج4 ، ص 153 .

^{6 -} المصدر نفسه ، ج4، ص 199 .

⁷⁻ينظر : النويهي محمد : شخصية بشار ، ص 124 .

أساسية بنسب مختلفة ، وهذه الألوان الأساسية أو المتتامة هي الأحمر ، الأزرق والأحضر (1) ، والمرأة الحمراء هي شديدة البياض ، تشبه خمرة كلواذ في بياضها و صفائها ، وقد أثارته ، وهيجت أحزانه ، يقول :

وَحَمْرًاءٌ كَلْوَاذِ الكَثيبِ تَطَرَبَّتْ * فُؤادِي وَهَاجَتْ عَبْرَةً وَتَلَدُّدَا . (2)
ويكرر ذكر هذا اللون ، معجبا به وهو يركب لونا على لون ، أو يمزج لوناً بلون ليزيد في جمال الصورة ، لتعجب الناظر وتسره بفتاة تزوجت قبل بلوغها :

هِ جَانٌ عَلَيهَا خُمْرَةٌ فِي بَيَاضِهَا * تَرُوقُ بِمَا العَيْنَينِ والخُسْنُ أَحْمَرُ . (3)

ويخلط اللون الأحمر بالأصفر بالأخضر بالأبيض في وصف جمال المرأة وزينتها ، ليشكل لوحة جميلة استثنائية ، فالقلادة على صدرها مائدة من فضة أو رخام ، ألوانها مختلفة ، فكأنّك ترى الضياء معلقاً فيها :

كَأَنَّ مَلْقَى حَلْيِهَا فَاتُورُ * فِيهِ الْيِضَاضُ وَبِهِ تَخْمِيرُ . فِي خُضْرَةِ شَبَّ لِهَا التَّصْفِيرُ * كَأَنِّمَا نِيطَ بِمَا التَّنْويرُ . (4)

ولم ينس الشاعر خد المرأة الأبيض حيث أضاف إلى لونه حمرة ، محاولا أن يصل بما إلى أعلى درجات الجمال وكانت فتنته بالأحمر والأصفر في صوره النمطية هذه لافتنة باللون لذاته ، ولكن فتنة بإيحاء اللون ورمزه (5) ، إنك لاتشعر وأنت تقرأ غزله أنه كفيف ، فهو يقوم على البصر والرؤية ، شاعر يعرف المرأة وصفاتها بأدق تفاصيلها ، كالرسام الذي يدقق النظر ، صورة بصرية دقيقة وكأنّ أذنه المرهفة الحساسة اعتادت أن تلتقط أدق الأشياء فتميزها وتحللها وتستمع بما ، وتنقلها في صورة أو في أخرى يستمتع بما الأخرون. (6)

لقد كان استخدام (بشار) للألوان في تصوير المرأة متناسبا ومتناغماً ومتكاملاً ، بياض مخروج بصفرة وحمرة في نعومة البشرة وملامستها ونقائها ، وسواد يضفي على الصورة الجميلة جمالاً مفصلاً في وصف الترائب والجيد والثغر والوجه والخد الناعم ، وسواد في لون العيون والشعر

64

^{1 -} ينظر : عبد الرحيم أمينة : الضوء ، دار الطباعة والنشر ، القاهرة - مصر ، ط1 ، 1970 ، ص 152 .

^{. 31} σ . σ .

^{3 –} المصدر نفسه ، ج3 ، ص 260 .

^{4 -} المصدر نفسه ، ج3، ص 173-174 .

^{5 -} ينظر: الفيفي عبد الله : الصورة في شعر العميان ، النادي الأدبي للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط1 ، 1996 ، ص 105 .

^{6 -} ينظر : نافع عبد الفتاح : الصورة في شعر بشار ، ص 189 .

والجدائل والخال والحاجبين فتكرار الشاعر لصفة البياض ليس تأكيداً للون صاحبته فحسب بل هو تأكيد لرغبته العميقة التي تفضّل هذا اللون في المرأة التي يحب ، إضافة إلى أنّه أعطى هذه الفتاة صفات أخرى تصور مدى جمالها،فالبياض بحد ذاته لا يشكّل جمالا إذا لم ترافقه أشياء أخرى .(1)

فاللون عنده موروث اجتماعي سمعي لايستطيع تمثله إلا بغيره كمعظم البصريات والمرئيات، وقد أتت جل الألوان، مجاراة وتبعية، إلا ما كان لتصوير موقف شعوري ذاتي، أو نقل تجربة سلوكية ولئن تمكن من استخدامها استخداما صحيحا غالبا لقد استطاعه من قبيل التصوير النقلي من جهة وذكاء يعى إيحاء الألوان ليس غير من جهة أخرى. (2)

2. صورة المعارك والجيوش:

فقد صوّر جيش (ابن أبي هبيرة) يلاحق (المثنى عمران) ومناصريه حيث نراه يقول : لما رَأُوا أَعْنَاقَهَا شُرَّعاً * بالموتِ دُونَ العَلَقِ الأَغْلَبِ . (3)

فرقاب حيش المثنى كانت مشرئبة وقد استفزها الأمر العظيم فولّت هاربة .

وأيضا يقول في تصويره لجيش الخليفة:

هُمَامٌ كَأَنَّ البِيضَ فِي حَجَرَاتِه * أَجُومُ سَمَاء نُورُهَا مُتَحِوِّبُ . (4)

فهو جيش قوي موزع على أكثر من ناحية ، وعند وصفه لقوة الجيش وعظمته في أحسن صورة أقرّ النقاد بجمالها ، فيقول :

وجَيشِ كَجُنحِ اللَّيْلِ يرْجُفُ بالْحَصَى * وبالشُّوْلِ والْخَطِّيِّ مُمْرٌ تُعالِبُهُ .

غَدَوْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِدْرِ أُمِّهَا * تُطالِعُنا وَالطَّلُّ لَمْ يَجِرِ ذَائِبُهُ .

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوقَ رُؤُوسِهِ * وأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَمَاوَى كُواكِبُهْ . (5)

إنها صورة مهولة ، لذلك الجيش من الفرسان ، وهو يواجه الأعداء ، وقد حمي وطيس المعركة ، وأثارت سنابك الخيل بحركتها السريعة الغبار الكثيف فوق الرؤوس ، حتى حجب أشعة الشمس

^{1 –} نصير أمل : صورة المرأة في الشعر الأموي ، المؤسسة العربية للنشر ، بيروت – لبنان ، (د ط) ، 2000 ، ص 72 .

^{2 -} رضا جهاد : التصوير الفني في شعر العميان حتى القرن الخامس الهجري ، ص 121 .

^{. 177} بن برد بشار : الديوان ، ج1 ، ص3

^{. 320} م المصدر نفسه ، ج1 ، ص

⁻⁵ المصدر نفسه ، ج1 ، ص334 ، ح

فما عاد يُرى إلا بريق السيوف التي تشق الغبار ، وقد عبر الشاعر عن هذا المشهد ، بصورة تحفل بالحركة ، استمدها من الكون الفسيح ، حيث شبه مشهد المعركة بغبارها الذي غطى على كل شيئ إلا إلتماع السيوف ، بصورة الليل المظلم الذي تتهاوى فيه الكواكب ، وهو مشهد مريب مرعب ، فالنفس تكاد تطير شعاعا لو رأت كوكبا من السماء يتهاوى ، فكيف لو رأت كواكب السماء كلها تتهاوى تباعاً في كل اتجاه . (1)

وهو البيت الرائع الذي يُعجب القدماء والمتأخرين لجودة تصويره مع أنّ قائله لم ير الدنيا قط.(2)

وفي حالة الإستعداد للحرب يعطينا بشار هاته هذه الصورة :

مُقِيماً عَلَى اللَذَّاتِ حَتَى بَدَتْ لَهُ * وُجُوهُ المنايَا حَاسِرَاتِ العَمَائِمِ . (3) حيث شبه استعداده للحرب بحسر العمائم وكشفها ، وشبّه أيام السعادة بأفراس غرّ الوجوه وأيام البؤس بأفراس كوالح شامسات .

وفي انشغاله بأمور الحرب يصور الحرب بإمرأة حاسرة ، فيقول :

وَكَيْفَ أُسْقَى عَلَى الرَّيْحَانِ مُتَّكِئًا * وَالْحَرْبُ حَاسِرَةُ الْخَدَّيْنِ وَالْجِيدِ. (4)

فقد كشفت هذه المرأة ما اعتدت ستره إذا وقعت في شدة أو مصيبة من الموت ، فهو كيف يُسقى على الريحان والحرب قائمة ؟ .

وفي تصوير لحال الخيل في أرض المعركة ، يقول :

وَالْجُوْدُ مَثُلُ عَجُورِ النَّارِ قَدْ بَرَدَتْ * شَوْهَاءُ شَهْبَاءُ مُنْوَرُّ كِمَا الكَّتَدُ .

لِمْ يَبْقَ فِي فَمِهَا شَيئ تَلَوك بِهِ * إِلاَّ اللِّسَانُ وَإِلاَّ الدُّرْدُرُّ الدَّرِدُ .

بَاتَتْ تَمَخَّضُ لِمَا أَنْ رَأَتْ عُددًا * من السِّلاح على قوْمٍ لهُمْ عددُ. (5)

إنّ الخيل تميلُ بأكتافها من شدة الطعن حين يحمى وطيس الحرب ، وقد أصيت بالرماح على أفواهها فسقطت أسنانها ، فلم يبق في أفواهها شيئ تمضغه إلاّ اللجام واللسان ومنابت

[.] 368 سغر العميان ، صاورة نادر : شعر العميان ، ص

^{. 142} منظر : الأصفهاني أبي الفرج ، ج3 ، ص-2

^{. 171} من برد بشار : الديوان ، ج4 ، ص-3

⁴⁻ المصدر نفسه ، ج3 ، ص 154 .

⁵⁻ المصدر نفسه ، ج2 ، ص 202-203 .

الأسنان ، وحين رأت تلك الأعداد الهائلة من الفرسان والعدد من السلاح صارت تلك الخيل ترتجف اضطرابا وخوفاً .

أمّا الرماح والسيوف فيصورها بشار بقوله:

والْمَشْرَفِيَّةُ قَدْ فُلَتْ مَضارِبُهَا * عَن الكُمَاةِ وأَطْرَافُ القَنَا قِصَدُ . (1)

وعند فحره بقومه وقوتهم وبطشهم ، يقول :

إِذَا مَا غَصِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً * هَتكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أُو تَمُطِرَ الدَمَا.

خَلَقْنَا سَمَاءً فَوقنا بنُجُ ومِها * سُيوفاً ونَقْعاً يَقْبِضُ الطَّرْفَ أقتَما.

ومحبس يوم جَرَّتْ الحَربُ ضَنْكُه * دَنا ظِلُّه واحْمر حَتَى تَحَـمَّمَا . (2)

فقد شبّه غضب قومه وقدرتهم على الوصول إلى غاياتهم بمتك حجاب الشمس ، أي أنّ قومه إذا غضبوا يبلغون مبالغ لا يبلغها غيرهم ، فلو كان أعدائهم في الشمس أغاروا عليهم وسلبوا الشمس منهم ، ويفخر بقومه أنهم في ساحات الحرب من شدة الضرب والطعن يوجدون سماء ثانية فوق رؤوسهم نجومها تلك السيوف والرماح التي تلمع فيها ، ورُبَّ يوم من أيام الحرب كان شديدا اقترب غباره ، وتكاثف حتى دنا من الناس وصار أحمر ثم تلاحق بعضه فوق بعض حتى صار قريبا من السواد .

3. صور مختلفة : من الملاحظ أنّ (بشار بن بُرد) استفاد كثيراً من مقدمات الشاعر الجاهلي ، فأبقى عليها كموضوع ، لكنّه غيّر محتواها ومدلولاتها ، وذلك بفضل الذخائر العقلية والخيالية التي استحدثت عنده نتيجة تأثّره بالحضارة الجديدة التي تعرّف عليها .(3)

ومن أمثلة هذه الصور البصرية المتحيلة ماكان في تصوير الشّمس ، وأدوات شرب الخمر . لهذا نجده أنّه يشبّه الشمس بالأعمى المتحير ، ليس له قائد يرشده ويهديه :

والشَّمْسُ فِي كَبَدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا * أَعَمَى تَحَيَّرَ مَالدَيه قَائِدُ . (4)

من الملاحظ أنّه لايوجد تشابه بين الشّمس والأعمى في المظهر الخارجي ، وإنّما في شدة الحيرة وطول الوقوف الذي تخيّله للشمس وعاناه هو حقيقة ، ومن يدري كم مرة تحيّر وطالت

^{. 203} من برد بشار : الديوان ، ج2 ، ص -1

²⁻ المصدر نفسه ، ج4 ، ص 163-164 .

³⁻ ينظر : مصاوره نادر : شعر العُميان ، ص 361-362 .

[.] 39 , 4 , 4 , 4

حيرته حين أراد المسير أو التصرف لقضاء شأن من شؤونه ، ووقفت به قدمه حتى برمت به نفسه، وهو ينتظر القائد المجهول ، ومن هذا الموقف النفسي استمد وصفاً لطول النهار بديعاً ، وعلى هذه الشاكلة لايزال يُدير المعاني القديمة في ذهنه ويُولِّد منها ، ويستخرج طرائف رائعة . (1) وفي مجال وصف أدوات الشرب يصور حال زق الخمر فيقول :

وَكَــأَنَّ الزِّقَ مَمْلُوءاً إِذَا * مَا بَطِحنَا الزِّقَ زَنجْي سَـرَقَ .

شُدَّ بِالْحَبْلِ وَلَفُوا فَضْلَهُ * فَوقَ أَعْلَى حَلْقِهِ حَتَى اخْتَنَقَ .(2)

فالصُّورة عنده في تمثيل لحال الزِّق الذي يصبون منه الخمر ، ثم يوكئونه المرة بعد المرة مثل الزبحي الذي سرق لأهله ، فلا يزالون يقررونه وهو يبوح كل مرة ببعض ما سرق .

ويصور بشَّار في صُّورة أحرى الإبريق كأنّه يسجد حين يشبهه في انحنائه يصب الخمر بسجدة المصلى في تلاوة السجدة:

يَسْجُدُ لِلْكَأْسِ إِذَا مَا صُبًّا * كَقَارِئ السَّجْدَةِ حِينَ انْكَّبَا . (3)

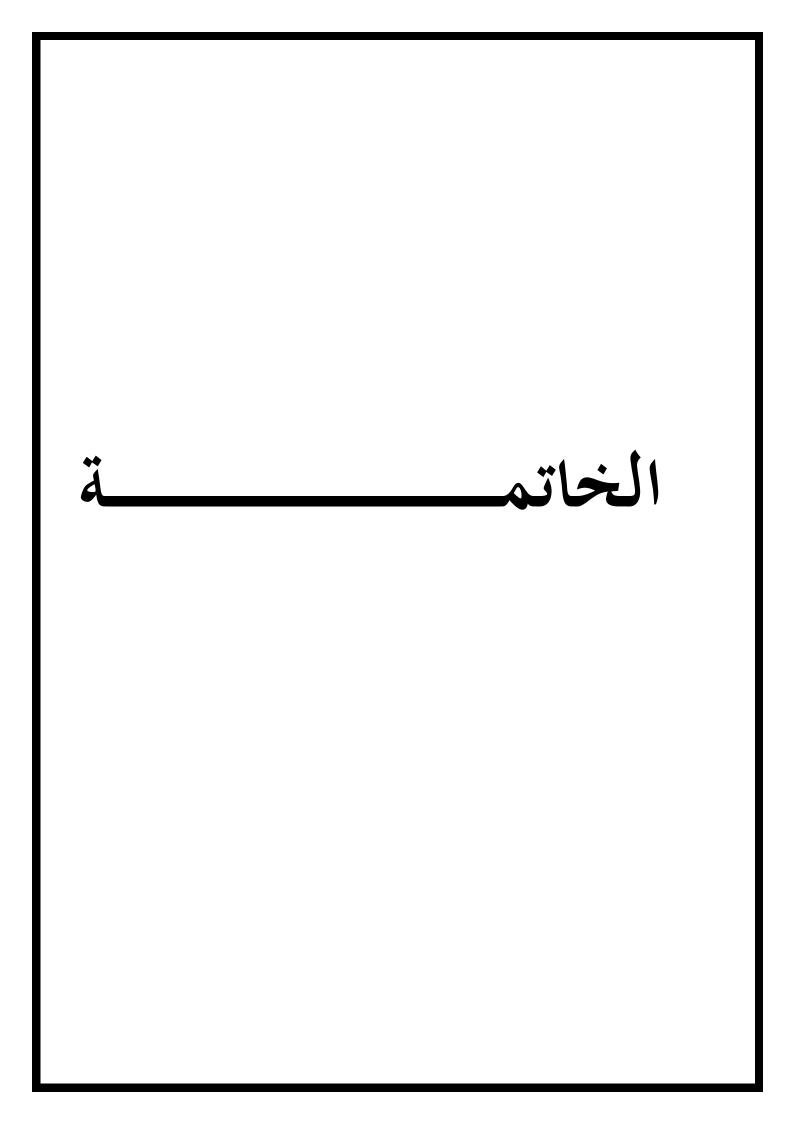
وهكذا رأينا أنّ الصُّورة البصرية لدى (بشَّار بن بُرد) ، لا تكاد تكون دون ما هي عليه عند المبصرين في الكثرة والتنوع ، وهو أمر يدعو إلى الإستغراب ، لولا ما عرفنا في سلوكهم في ذلك عدة سُبل وعوامل تظافرت على إبراز هذه الصُّورة وتنوعها .

. 16

¹⁻ينظر : الدوخان محمد بن أحمد : الصورة عند الشعراء العميان في العصر العباسي ، ص 203 .

⁻² ابن برد بشار : الديوان ، ج4 ، ص -116 .

 $^{.\,161}$ م ، ج1 ، ص



وفي الأخير توصلنا إلى مجموعة من النتائج من أهمها :

- أُتيح لبشار بن برد أن يكون على رأس الجحددين المحدثين أو أول أصحاب البديع أو الجديد، وربماكان ثمرة عماه - لو صحّ التعبير - لأنّه أراد أن يخلق لنفسه مكانة في المجتمع.

- من الملاحظ أنّه عاصر دولة بني أُمية ، وشهد نقلة الخلافة من الدولة الأموية إلى الدولة العباسية ، لهذا فقد مكنته هذه النقلة من أن يطور فكره وثقافته .
- نجد أنّ بشار بن برد قد مثّل العصر الأموي في معظم اتجاهاته ومثّل العصر العباسي في كل ماكان يضطرب فيه .
- أمّا من ناحية الدين فقد تقلب على بعضها ، ولم يلبث على عقيدة واحدة إلى أن رُميّ بالزندقة .
- تعدد العوامل التي ساهمت في تعقيد نفسيته ، ومكنته من الإشتهار في الغزل والهجاء ، كان من بينها شعوره بالحرمان وسخطه وتبرمه من المجتمع بصفته كان مَولى ، وشعوره بالأنا ، بالإضافة إلى عاهة العمى .
 - عبر عن ما يخالج نفسه من مشاعر وأحاسيس أحسن تعبير و بأفضل الصور .
- اعتماده على الحواس الأخرى ، الحاسة السمعيّة ، اللمسيّة ، الذوقية و الشميّة ، لهذا لا تبدو في شعره مظاهر العمى ، وفي صور أخرى نجده نافس المبصرين في حد ذاتهم .
- استطاع بالرغم من عماه أن يقدم صوراً بصرية من مُخيلته ، مثلاً في ذكره للون ، أو تصويره للمعارك والجيوش ، فنجده قد استعمل الألوان في تصوير المرأة كان متناسباً ومتناغماً ومتكاملاً ، وربماكان في معظمها مقلداً ، لأنّ اللون عنده موروث اجتماعي سمعي .

قائمة المصادر

9

المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- 1. ابن بُرد بشَّار : الديوان ، ج1 -ج2 ، شرح محمد الطاهر بن عاشور ، وزارة الثقافة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، (د ط) ، 2007 .
- 2. ابن بُرد بشَّار : الديوان ، ج3 ج4 ، شرح محمد الطاهر بن عاشور ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة مصر ، (د ط) ، 1950 .

ثانياً: المراجع:

- إسماعيل عزالدين: التفسير النفسي للأدب ، دار المعارف، القاهرة –مصر، (د ط)، 1963.
- 5. الأصفهاني أبي الفرج: الأغاني ، ج3 ، طبعة دار الكتب ، القاهرة –مصر ، ط1 ،1929
- 6. بديع الشريف محمد: الصراع بين الموالي والعرب، نشر دار الكتاب العربي بمصر، (د
 ط) ، 1954.
- 7. بركات أحمد لطفي : الفكر التربوي في رعاية الطفل الكفيف ، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر ، (د ط) ، 1978 .
- 8. البستاني بطرس: أدباء العرب في الأعصر العباسية ، مكتبة صادر ، بيروت لبنان ، ط4 ، 1951 .
- 9. البستاني صبحي : الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ، دار الفكر اللبناني ، بيروت-لنان ط1 ، 1986 .
- 10. البسيوني محمد : الشخصية الفنية ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، القاهرة مصر ، (د ط) ، 1976 .

- 11. التوحيدي أبو حيان ومسكويه أحمد بن محمد بن يعقوب: الهوامل والشوامل، نشر أحمد أمين والسيد أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة -مصر، (د ط)، 1951.
- 12. الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة نحضة مصر ، (د ط) ، 1965 .
- 13. الجاحظ أبو عثمان بن بحر: الحيوان، ج4، تحق يحي الشامي، دار الهلال للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، (د ط)، 1977.
- 14. الجرجاني عبد القاهر : أسرار البلاغة ، تحق : محمد منعم خفاجي و عبد العزيز شرف ، دار االجيل ، بيروت لبنان ، ط1 ،1991 .
- 15. جويتو جان ماري: مسائل فلسفة الفن المعاصر، تر: سامي الدروبي، دار الفكر العربي القاهرة مصر، (د ط)، 1958.
- 16. حسين طه: تجديد ذكرى أبي العلاء ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، القاهرة مصر ، ط9 ، (د ت) .
- 17. حسین طه : حدیث الأربعاء ، ج2 ، دار المعارف للنشر والتوزیع ، ، کورنیش النیل مصر ، ط5 ، (د ت) .
- 18. حنيف شوقي: تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، القاهرة .- مصر ، ط6 ، 1977 .
- 19. الخفاجي محمد عبد المنعم: الحياة الأدبية في العصر العباسي ، دار العهد الجديد للنشر والتوزيع ، القاهرة مصر ، ط1 ، (c-r) .
- 20. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، ج1 ، تح إحسان عباس ، دار صادر ، (د ط) ، بيروت- لبنان ، 1972 .
- 21. خليل شرف الدين : أبو العلاء مُبصر بين العُميان ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت لبنان ، 1979 .

- 22. ذاكر العاني زكي: شعر ربيعة الرِّقي ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق سوريا ، (د ط) ، 1980 .
- 23. الذهبي أحمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء ، ج9 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، (د ط) ، 2001 .
- 24. ربابعة موسى : جمالية اللون في شعر زهير بن أبي سلمى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ، 1997 .
- 25. ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط5، 1981.
- 26. الروضان عبد عون : موسوعة شعراء العصر العباسي الأول ، ج3 ، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 2013 .
- 27. سعيد محمد مجيد: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، الدار العربية للموسوعات، ط2، 1985.
- 28. السقطي رسمية: أثر كف البصر على الصورة عند المعري ، مطبعة أسعد ، بغداد العراق ، (د ط) ، 1968 .
- 29. سيد خير الله : سيكولوجية الطفل الكفيف وتربيته ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة مصر ، (د ط) ، 1967 .
- 30. السيوفي مصطفى : تاريخ الأدب في صدر الإسلام ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية القاهرة مصر ، ط1 ، 2008 .
- 31. الشكعة مصطفى : الشعر والشعراء في العصر العباسي ، دار العلم للملايين ، بيروت-لبنان ، ط3 ، 1975 .
- 32. صالح نافع عبد الفتاح: الصورة في شعر بشار بن برد ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، (د ط) ، 1983.

- 33. الصفدي صلاح الدين خليل بن أبيك : الغيث المسجم في شرح لامية المعجم ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1975 .
- 34. الصفدي صلاح الدين خليل بن أبيك: نكت الهميان في نكت العميان ، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة مصر ، (د ط) ، (د ت) .
- 35. ضيف شوقي : التطور والتجديد في الشعر الأموي ، منشورات جامعة البعث ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، القاهرة مصر، (د ط) ، 1994-1995 .
- 36. ضيف شوقي : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، القاهرة مصر ، ط5 ، 1965 .
- 37. ضيف شوقي: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، دار المعارف للنشر والتوزيع ط16 ، 2004 .
- 38. الطريفي يوسف عطا: شعراء العرب (العصر الجاهلي) ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن-عمان ، ط1 ، 2007 .
- 39. عباس يوسف محمد: دراسة في الإعاقة وذوي الإحتياجات الخاصة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة مصر ، (د ط) ، (د ت) .
 - 40. عبد الرحيم أمينة : الضوء ، دار الطباعة والنشر ، القاهرة مصر ، ط1 ، 1970.
- 41. عبد الجيد عبد العزيز: معجزة التربية عند هيلين كيلر، دار المعارف، القاهرة مصر، (د ط)، (د ت).
- 42. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبين ، ج1، تحق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة مصر ، ط3 ، 1968 .
- 43. العدنان عبيد العلي: شعر المكفوفين في العصر العباسي، عمان. الأردن، (دط) 1999.

- 44. العشماوي محمد زكي: موقف الشعر من الفن والحياة ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، (د ط) ، 1981.
- 45. عصفور جابر أحمد: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار التنوير، بيروت لبنان، ط2، 1983.
- 46. العقاد عباس محمود: دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية ، مكتبة غريب ، القاهرة مصر ، (د ت) .
 - 47. فتوح محمد: الرمز والرمزية ، دار المعارف ، القاهرة مصر ، ط1 ، (دت).
- 48. الفيفي عبد الله : الصورة في شعر العميان ، النادي الأدبي للنشر والتوزيع ، الرياض- السعودية ، ط1 ، 1996 .
- 49. ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء ، ج2 ، تحق أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار الثقافة ، بيروت لبنان ، (د ط) ، 1969 .
- 50. كحالة عمر رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، دار العلم للملايين ، ط3 ، بيروت لبنان ، 1968 .
- 52. المبرد أبو عباس محمد بن يزيد : الكامل ، ج3 ، تحق محمد مصطفى بدوي والسيد شحاتة ، مكتبة مصر ومطبعتها ، القاهرة مصر ، (د ط) ، (د ت) .
- 53. محاسني زكي: شعر الحرب في أدب العرب ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، القاهرة مصر 1961 .
- 54. المزرباني أبو عبد الله محمد بن عمران: المرشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحق محمد بجاوي، دار النهضة مصر، القاهرة مصر، 1965.

- 55. مصاورة نادر : شعر العميان ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 2008 .
- 56. المصيلحي صلاح عبد الله: التجديد والتقليد في الشعر العباسي ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر ، 1991 .
- 57. ابن المعتز: طبقات الشعراء ، تحق أحمد فراج عبد الستار، دار المعارف للنشر والتوزيع ، القاهرة مصر ، ط2 ، 1956 .
- 58. المعري أبو العلاء: سقط الزند ، شرح أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1990 .
- 59. المغربي ابن سعيد: المُغرب في حُلى المغرب ، ج2 ، تحق شوقي ضيف ، دار المعارف عصر ، ط4 ، 2009 .
- 60. نصير أمل: صورة المرأة في الشعر الأموي ، المؤسسة العربية للنشر ، بيروت لبنان ، (د ط) ، 2000 .
- 61. نوفل حسن يوسف: الصورة الشعرية واستيحاء الألوان، دراسة تحليلية إحصائية لشعر البارودي ونزار قباني وصلاح عبد الصبور، عين شمس، ط1، 1985.
 - 62. النويهي محمد: شخصية بشار ، مكتبة النهضة ، القاهرة -مصر، ط1 ، 1951.
- 63. هدارة مصطفى : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، دار المعارف ، القاهرة مصر ، (د ط) ، 1963 .
- 64. ياسين معتز قُصي : البواعث النفسية في شعر بشار بن برد ، مجلة دراسة البصرة البصرة –العراق ، (د ط) ، 2013 .

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

65. الدوخان محمد بن أحمد : الصورة عند الشعراء العميان في العصر العباسي ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، 1988 .

66. رضا جهاد: التصوير الفني في شعر العميان حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه في الآداب، بإشراف عصام قصبحي، كلية الآداب والعلوم، جامعة دمشق-سوريا، 1992.

رابعاً: المجلات:

67. الجادر محمود: الأداء باللون في شعر زهير بن أبي سلمى ، محلة كلية التربية ، ع2 ، الجامعة المستنصرية ، بغداد-العراق ، 1990 .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

کر	
ä	مقدما
حلعل	المدخ
ل الأول : روافد الصُّورة عند (بشَّار) وأهم الجذور النفسية المُساهمة في خلقها .	الفصا
: روافد الصُّورة عند بشَّار بن بُرد	أولاً :
	1
18	
. الدين	3
: أهم الجذور النفسية المساهمة في خلق الصُّورة عنده	ثانيا :
الشعور بالحرمان	
ر. السُخط والتبَّرم	2
. شُعوره بالأَنا	3
ل الثاني : الصُّورة عند (بشَّار بن بُرد)	الفصا
: الحواس التعويضية	
. الحاسة السمعيّة	1
2. الحاسة الشميّة	2
. الحاسة اللمسيّة.	3
·. الحاسة الذوقيّة	4
: الصُّورة البصرية المُتخيلة	ثانياً :
َ. صُّورة اللون	1
ر. صُّورة المعارك والجيوش	

مختلفة	3. صُّور
70	الخاتمة
ر والمراجع	قائمة المصاد
پات80	فهرس المحتو

ــرس المحـــــــ

المُلخَّص:

الصُّورة هي وسيلة الشاعر والأديب في نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرائه وسامعيه ، ويقاس نجاحها في مدى قدرتها على تأدية المهمة .

ويُعد (بشَّار بن بُرد) أحد الشعراء العُميان في الأدب العربي ، والذي استطاع أن يثبت وجوده داخل مجتمع نظر إليه نظرةً خاصة ، ولقد جعله العَمى شاعراً ساخراً مُبغضاً ، وخَلق منه شاعراً فذاً يكاد ينعدم نظيره في قوة الذكاء وحدة الذهن .

ولقد استخدم لسانه في بيانه وفي بذاءته ، في فصاحته وفي سلاَطته ، لهذا اعتبر في نظر بعض النقاد والدارسين أول المجددين وشيخهم ، ولعَّل العمى كان سبباً رئيسياً ، أو قوياً من أسباب الابتداع بعد مرحلة التقليد والمحاكاة ، حيث نهج للشعراء من معاصريه نهجاً توفيقياً يجمع بين القديم والجديد ، فعُقدة العَمَى دفعته إلى أن يقول أرقَّ مقطوعاته وأجمل قصائده التي نمته إلى مدرسة التجديد ، فقد كان يجهد نفسه في التصوّور والمحاكاة لشعر سابق محاولاً الاستعانة بفكرته لكى يأتي بصُّورة أفضل .

:Abstract

Sketch is the way of poet and scholar medium to remove both his idea and emotion to his readers and listeners. Its success is measured through the length of its ability to do the function (mission).

Bachar ben bourd counted as one of the blind poets in Arabic literature. ben bourd was the person who is had the ability to improve his existence inside a society looked at him a special look i his blindness made him an ironic and hateful poet i whish created from him a unique poet that almost his counterpart could be absent at the level of power intelligence and mind unit.

Although, he used his eloquence, his nastiness in his fluency, and his impudence, for that he considered in some reviewers and scholars thoughts as the first renovated and master of his generation.

So, may be blindness was the main or the strongest cause of creation after the period of imitation and convention, where he made to the poets in his generation a balanced method that gathered between old and new style. Consequently, the problem of blindness pushed him to say his soften divisions, and his magnificent poems that grown him to the novelty school.

Ben bourd was working very hard to imagine and imitate a previous poem trying to ask for the help of his idea to create a better sketch.

تم بحمدِ الله